روايات عبير



دافني كلير

كفى خداعاً

١٤١

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 141

كفى خداعاً

حين يفقد الانسان نعمة البصر . . . هل تضيع منه بقية النعم؟

كابد حرم من نعمة البصر وأعطي نعمة الحب حين التقى كاريسا . . . لكنها كانت صغيرة نسبة الى لعبة الكبار، فاعتبرها خدعته لأنها كذبت عليه . . . غضب وثار وطردها من جنته وأغلق في وجهها باب السعادة الى الأبد . . .

ومرّت السنوات . . . حتى التقته فجأة في منزل رئيسها ينظر اليها . . . ترى هل يعرفها بعد عودة بصره، ام ان الزمن محى الذكريات؟

خافت من قلبها الذي ظنته سكن . . . ومن بقايا جمر ينتظر نسمة . . .

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DARLING DECEIVER

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd Bungay, Suffolk

١ـ لقاء العمر

لم يدر كايد كيف اختلط الأمر على موظفة الحجز في شركة الطيران، حتى وجد نفسه يجلس بعيداً عن مدير أعماله الذي استقرّ في مقعد في مؤخرة الطائرة.

وعندما عرضت عليه المضيفة أن تطلب من السيدة التي حجزت المقعد المجاور له، ان تستبدل تذكرة سفرها بأخرى، وان تغير مكانها، رفض بتهذيب قائلاً:

ـ لا تهتمي للأمر يا آنستي. ليس من الضروري ان اجلس قرب مدير اعمالي. كان يكره ان يعامله احد بصورة مميّزة، فقط لانه اعمى. صحيح انه كان يطالب، بل يتمتع، بالمعاملة الخاصة التي يشتريها بغناه وشهرته، الاّ انه كان ينفر منها بشدة عندما يشك بنوايا

الشخص الذي يقدمها له. فلو ظن انه يعامل باحترام، شفقة بعاهته، يثور انتصاراً لكرامته، وتكون ردّة فعله احياناً في غاية العنف.

واحس كايد بيد جاك، مدير اعماله، تدفعه برقة وترشده بلباقة الى مقعده. استقرّ في مكانه وهو يحاول جاهداً السيطرة على اعصابه. عصبيته الزائدة تضرّ بالصورة التي يحاول ان يعطيها عن نفسه.

واحس فجأة بالمرأة الجالسة قربه. وعندما هدأت الثرثرة في الطائرة، سمع موسيقى تنفسها الهادىء، ورنّة حزام الامان وهي تحكمه حولها، وصوت قفل حقيبتها، وهي تفتحها. ولامست ذراعها كمّ سترته وهي تبحث عن شيء ما.

تضع عطراً خفيفاً يعبق بأريج الزهور، فتصله نسمة خفيفة منه كلما تحركت في مقعدها. كانت قد همست له بتحية مهذبة عندما جلست قربه، فأجابها ببرود وبهزة رأس سريعة. ولسبب ما أحس فجأة بالثورة عليها للخطأ الذي حصل في حجز المقاعد. كم سيزعجه عدم وجود جاك قربه عندما يحين موعد الطعام. لن يناديه. لا يريد ان يلفت اليه انظار الركاب فيشفقون على عاهته. كم يتمنى ان لا تكون المرأة الجالسة قربه قد سمعت باسمه من قبل. لمست المضيفة كتفه وهي تقول برقة:

- هل تسمح بوضع حزام الامان يا سيد فرناند. هل تحتاج الى مساعدة؟

- لا. شكراً.

وبحث بيديه عن طرفي الحزام ليجمعها بعنف. وسألته المرأة الجالسة قربه:

- عفواً. انت كاديز فرناند أليس كذلك؟

كاد ينكر ذلك، لكن نبرة صوتها فاجأته. كانت مريحة، دافئة، فيها بحة محببة أضفت على صوتها جاذبية مميزة بدون ان تفسد وضوحه. ليست أميركية، لكنها ليست انكليزية ايضاً...

استرالية؟ ربما. هز رأسه بالايجاب والتفت ليواجهها. كم هو وسيم هذا الوجه اللاتيني التقاطيع، بانفه الحاد، وفمه الذي يوحي برجولة مميزة. اعجبت حتى بنظارتيه السوداوين اللتين تخفيان عينين لا تعرفان النور.

- أنا معجبة جداً بموسيقاك.

ضايقه تعليقها وانتظر الكلمات التي لا بد ان تأتي لتكمل الجملة التقليدية، عندي كل اسطواناتك، او اعتقد ان الجميع يقولون لك هذا... لكنها لم تكمل حديثها.

انتظر لحظات قبل ان يشكرها على مديحها، واحس انه بدأ فعلاً يميل اليها قليلاً. لم يكن ذنبها ان حدث سوء التفاهم هذا في الحجز.

بعد دقائق استسلم للنوم. انه مرهق. امس قدّم عرضاً فنياً رائعاً في هونولولو، وهو في طريقه الآن الى سيدني حيث سيقدم حفلة اخرى مساء الغد. الرحلة طويلة الى سيدني، وهو متعب. لم يستطع ان ينام طويلاً. افاق وهو يشعر بجفاف في حلقه، وتشنج عضلات جسمه. كانت المرأة تقلّب صفحات مجلة ما. وتساءل بعصبية ان لم يكن صوت الورق هو الذي ايقظه من نومه. وتضاعف توتره وهو يسمع الايقاع الرتيب. نادى جاك، فكان بجانبه بلمح البصر.

- جاك. هل تمانع بأن نتمشى قليلاً؟

- طبعاً لا يا كايد. هيا بنا. من هنا.

احب كايد جاك يتون من أول لقاء جمع بينهما. تعلّم الرجل بسرعة كيف يعامل انساناً فاقد البصر. فجاك لم يتصرف ابداً وكأن كايد ايضاً أطرش او مشلول او متخلف عقلياً.

وعندما عاد كايد الى مقعده، كان اكثر راحة وانطلاقاً. طلب كوباً من المرطبات، وعرض على المرأة مشاركته فرفضت برقة. سألته بنعومة ان تقرأ له لائحة الطعام، فوافق وهو يتلذذ بشرابه البارد، وصوتها الدافىء الجذاب. جاءت المضيفة بالطعام، وعرضت على كايد ان تساعده في تناوله فرفض باصرار. جاك ايضاً فهم رغبته فلم

يقترب منه كعادته. فتح كايد بثقة المغلف البلاستيكي الذي يحتوي على الملعقة والسكين، ورفع الغطاء الشفاف عن الصحون. تمكن من تناول المقبلات والوجبة الرئيسية دون صعوبة تذكر، لكن عندما جاء دور الحلوى لم يستطع العثور على الملعقة الصغيرة الخاصة بها، فأخذ يبحث عنها بعصبية. وفجأة احس بيد تمسك بيده وتضعها على الملعقة. شكرها بحدة، فاجابته بسرعة:

- الملعقة علقت في زاوية الطاولة.

فهم انها لم تكن لتساعده لو شعرت انه يستطيع ان يجد الملعقة بسهولة. احس بالأسف لحدّته، وتابعت حديثها وكأنها تحاول ان تشرح له موقفها:

- شقيقي اعمى.
- حقاً!

لا بد أنه دربها جيداً على حسن التصرف في مواقف مشابهة. وعندما حان موعد القهوة كان على اتم الاستعداد لسماع صوتها الجذاب لأطول فترة ممكنة. التفت اليها مبتسماً ابتسامته الشهيرة التي تجعل ملايين القلوب تخفق يومياً.

- أنت الآن في موقع قوة.
- انا؟
- نعم. تعرفين اسمي وانا لا اعرف عنك شيئاً.
- آه.

ضحكتها الخافتة كان لها أيضاً وقع شديد الجاذبية.

- اسمي كاريسا مارتن. لكن معظم الاصدقاء ينادونني كريسي.
- افضل اسم كاريسا. له رنة غير مألوفة.
- اختارته والدتي من كتاب كانت تقرأه.
- امك تتمتع بذوق ممتاز.

وسألها عن شقيقها الاعمى فاجابت:

- كليف يدرس الهندسة الالكترونية.

- مجال صعب جداً.
- نعم... حتى على المبصرين. ولهذا السبب بالتحديد اختار كليف تخصصه هذا. انه انسان عنيد جداً، واظن انه يشعر بأن عليه ان يثبت شيئاً ما.
- نعم. اظن ذلك. اليس لدينا كلنا شيء ما نريد ان نثبته.

وأحس كايد انه قريب جداً من كليف مارتن هذا، رغم انه لا يعرفه.

- انت استرالية؟
- لا. نيوزيلاندية. الاميركيون مثلك، يرون كل اللهجات الانكليزية الاخرى متشابهة.
- لهجتك تميل اكثر الى طريقة اللفظ البريطانية. سكان استراليا يتكلمون ببطء ويركّزون على مخارج الالفاظ. هل انت في طريقك الى نيوزيلاندا... الى عائلتك؟
- نعم. عشت سنة في الولايات المتحدة، وانتظر بلهفة لحظة وصولي الى الوطن.

تأرجحت الطائرة قليلاً وسقطت في فجوة هوائية. فشدت كاريسا قبضتها بقوة على ذراع المقعد. احس كايد بخوفها.

- خائفة؟
- لا. فاجأني تأرجح الطائرة. هذا كل شيء. الحقيقة انني لم اسافر كثيراً في حياتي. لا بد انك معتاد على ذلك؟

لم تتوقف الطائرة عن الاهتزاز، وأحس كايد ان رفيقته تحاول جاهدة السيطرة على خوفها. كانت تتكلم بسرعة حتى كادت تلهث. امسك بيدها الصغيرة فارتعشت أصابعها. شد قبضته عليها، ليطمئنها أولاً، ولأنه احب ملامسة بشرتها الحريرية ثانياً.

- نعم سافرت كثيراً، وغالباً في الطائرة. يقال انها الوسيلة الأكثر اماناً للسفر. هل تعرفين ذلك؟
- نعم. قيل لي ذلك.

بدا القلق بوضوح في نبرة صوتها، فتابع حديثه وهو يحاول ان يعبّر بصوته الدافىء عن كل الحنان الذي يشعر به نحوها الآن. كم احبت هذا الصوت وهي تسمعه يغني. وها هو الآن يخبرها عن بعض الرحلات التي قام بها، والاماكن الغريبة التي شاهدها.

خرجت الطائرة من الدوامة الهوائية، وعادت تدريجياً الى ثباتها، فسحبت كاريسا يدها برقة وهي تقول:

- شكراً. اعتقد انني سأغفو قليلا الآن.

- لماذا؟ هل كان حديثي مملا الى هذه الدرجة؟

- آه. لا. أرجوك لا تظن ذلك. سررت جداً بحديثك يا سيد فرناند. كان لطفاً منك ان تحاول التخفيف عني. لا بد انك تعبت من مسايرتي.

فاجأته بقولها، فرد بسرعة:

- ما الذي جعلك تظنين هذا؟

- حسناً. كان من الواضح، فور صعودك الى الطائرة، انك لا تريد ان تتحدث الى احد. لا بد ان حفلة الامس اتعبتك جداً.

- هل حضرتها؟

- لا كنت في لوس انجلوس. ولن استطيع كذلك مشاهدة الحفلة التي ستقيمها غداً في سيدني.

- ولماذا؟ هل ستسافرين مباشرة الى نيوزيلاندا؟

- لا. سأبقى يومين في سيدني. عمتي تنتظرني. حتى لو اردت حضور حفلتك لن استطيع. من الصعب الحصول على بطاقة دخول. فالاماكن تنفد قبل عدة أيام من العرض.

- سأطلب من جاك ان يترك لك بطاقتين على شباك التذاكر. انا احتفظ دائماً ببعض المقاعد لاصدقائي.

سرورها الطفولي، الذي لوّن صوتها بظلال دافئة عندما شكرته، اقنعه انها لم تكن تحاول ان تكون مهذبة فقط عندما قالت انها تحب موسيقاه.

ثم، ولاستغرابه الشديد، انزلت ظهر مقعدها وغفت.

توقفت الطائرة في نائدي. فنزلت منها كاريسا لتشتري بعض الهدايا من المنطقة الحرة. لم يتحرّك كايد من مقعده، فجلس جاك قربه يسليه حتى عودتها.

وعندما اقتربت منهما اخيراً نهض جاك من مكانه ليعود الى مقعده، لكنها اوقفته باشارة من يدها وهي تقول:

- لا. لا تترك المقعد من فضلك. سأجلس مكانك.

لم يتوقع كايد ان يزعجه ذهابها بهذه القوة. من ساعات قليلة كان سيرحب بالتغيير، لكنه وجد نفسه الآن يرغب بالصوت الناعم قربه. وببرود غير متوقع تجاهل جاك الذي كان يتحدّث بحماس عن الجولة الفنية التي سيقومان بها في أرجاء استراليا. كان يرسم بصمت صورة ذهنية لما يمكن ان تكون عليه كاريسا مارتن.

وعندما هبطت الطائرة في مطار سيدني، سأل كايد مدير اعماله عن اوصافها:

- جميلة... جميلة جداً. شقراء ترفع شعرها الرائع الطويل في شكل عقدة. شابة انيقة. تستطيع ان تقول انها سيدة بكل معنى الكلمة. نعم... جميلة جداً. كم اتمنى لو كنت اصغر بعشرين عاماً.

ولم يتوقف كايد عند الملاحظة الاخيرة بل سأل:

- ماذا عن عينيها؟

- لونها داكن. ليستا بنيتين. رماديتين! ربما. ام عسليتين! لا ادري... هل يهمك امرها؟

وعرف كايد فوراً ما يعنيه مدير اعماله، فاجابه ضاحكاً:

- لا. لا اريدها كما تقصد.

وربت على كتف صديقه ليخفي اشمئزازه من معنى كلمات جاك، رغم انه نادراً ما كان يشعر برفض مثل هذا الاقتراح.

لكن... ماذا لو جاءت الى الاستعراض؟...

- جاك. وعدتها بأن اترك لها بعض التذاكر على شباك الحجز. لن تنسى أليس كذلك؟

- طبعاً لن انسى.

سيتذكّر جاك... وكذلك كايد.

كان الاستعراض رائعاً. خرج الجمهور الاسترالي عن بروده العادي ليصفّق بحماس وانفعال. عرف كايد كيف يحرّك مشاعرهم بصوته الدافىء وقيثارته المحمومة. جعلهم يتماوجون مع الاوتار فحلّقوا معه في سماء الانغام. بدأ باغنية بدائية متوحشة، فاسرعت اقدامهم تضرب الارض بايقاع همجي فيه كل سحر الغابات. غنى لهم اغنية حزينة من جنوب اميركا، فصمتوا كأنهم يبكون معه على حب ضائع وطفولة منسية. انشد لحن حب لامرأة جميلة، فشعرت كل سيدة في القاعة ان الكلمات موجهة لها وحدها. الشحنات العاطفية التي حرّرها بصوته، احترقت جلده، فاسترخى سعيداً تحت بقعة الضوء التي لم يكن يراها. هنا، في هذا المكان بالذات، ينسى انه اعمى. كلهم غارقون في الظلام، وهو وحده جالس في الضوء. صحيح انه لا يراهم، لكنه يشعر بهم، ويستطيع ان يجعلهم يشعرون به. كم يحس بقوته الآن.

وعندما انتهى من الغناء نادوه مرات ومرات. صفروا، صفقوا، صرخوا، فحياهم وانسحب. كان جاك ينتظره وراء الكواليس، وعندما رآه همس في اذنه:

- انها هنا.

- من؟

جمهوره يناديه مجدداً... كما ينادون عاشقاً. وكعاشق عاد اليهم وكأنه لا يريد ان ينزل بعد من القمة التي رفعوه اليها. ووصله صوت جاك مجدداً:

- كاريسا مارتن هنا.

- حسناً يا جاك. خذها الى غرفتي الخاصة.

وعاد بثقة الى المسرح وهو يمد يديه بحب وكأنه يريد ان يحتوي هذا الجمهور الذي وقف لتحيته.

شعر كايد بوجود اناس كثيرين في غرفته الخاصة. عرفوه باسماء كثيرة، وتقبل التهاني وكلمات الاعجاب بلا مبالاة ظاهرة. بعض النساء قبلنه على وجنتيه. كلهن يتحدثن بصوت حاد ومزعج. وتذكر صوت كاريسا الدافىء، وتساءل اين هي؟

في تلك اللحظة أمسك جاك بذراعه قائلاً:

- كايد. لا بد انك تذكر الآنسة مارتن.

وأحس كايد باليد المنعشة تتسلّل برقة الى يده، وسمع صوتها الهامس يقول:

- شكراً لك على البطاقة. كنت رائعاً.

وتذكّر كايد فجأة انها لا بد جاءت برفقة عمتها. ولانه لا يريدها ان تذهب، ولانه احس بأن اليد التي يريد ان يستبقيها في يده بدأت تنسحب بخفر، سارع الى القول:

- وعمتك، هل اعجبها العرض ايضاً؟

- لم تتمكن من المجيء. اضطرت الى ملازمة الفراش لوعكة صحية أصابتها. لم استعمل الا بطاقة واحدة...

- الا تعرفين احداً في سيدني؟

- لا اعرف احداً في استراليا كلها باستثناء عمتي... وانت.

وانسحبت اليد الصغيرة بعناء من اصابعه، رغم محاولته التمسك بها مدّة اطول.

- لا تذهبي... جاك!

التفت عندما احس بيد صديقه تلامس كتفه برفق. انه يعلم ان جاك لن يدعها تغادر المكان قبل ان يتفرّق كل الحشد. وفعلاً كان مدير اعماله عند حسن ظنه به. حتى انه استأجر لها سيارة خاصة، وحجز لها في مطعم فخم يقدّم العشاء للساهرين حتى ساعة متأخرة من الليل. جاك يعرف دائماً كيف يعثر على افضل المطاعم والاندية

بعد ساعات قليلة من وصوله الى اي مدينة في العالم.

كاريسا مارتن، امرأة مميزة فعلاً. كانت ترشده وسط الطاولات بلباقة، وهي تمسك ذراعه ببساطة وعفوية كما تفعل اية سيدة جميلة عندما تخرج مع رجل. جلسا، كما اراد، جنباً الى جنب حتى يتمكن من الاحساس بأدق تحركاتها. قرأت له لائحة الطعام، وتركته يختار الاصناف التي يحب. لم تتكلم كثيراً. سألت النادل عن شيء او شيئين في القائمة وسكتت. لاحظ كايد رنة الاعجاب في صوت الرجل وهو يجيبها. التقطت اذناه بسرعة وسهولة ذلك التغيّر الخفيف في نبرته، الذي يفضح عادة ردة فعل أي رجل امام الجمال الانثوي.

ابتسم كايد برضى. حسد الرجال كان خير تعويض له عن عماه، ولذا كان يحيط نفسه دائماً بالنساء الجميلات ليفخر بهن في اماكن كهذه، وفي المناسبات الاجتماعية، وكأنه يسجل انتصاراً على الرجال المبصرين.

لم يكن كايد يشاهد أبداً برفقة امرأة عادية. وعندما انتهيا من تناول الطعام، القى يده برفق على كتفها، وباليد الثانية اخذ يلهو بالساعة على معصمها. وسألها:

- ساعتك ذهبية اللون أليس كذلك؟

- نعم.

- والاحجار الكريمة التي تزينها ليست من الماس؟

- لا. من الزمرد. احجار صغيرة الحجم.

- لتليق بلون عينيك؟

ضحكت بخجل قبل ان تجيب بدلال ورقة:

- لونهما يتبدل وفق مزاجي. عندما اغضب يميل الى الأخضر، وعندما أكون في حالة رومنطيقية حالمة يصبح رمادياً. لكن معظم الناس يقولون أنني عسلية العينين. وسمع كايد صوت النادل ينظّف الطاولة قربه فناداه. انحنى الرجل امامه بأدب:

- نعم سيدي.

التفت كايد الى كاريسا وهو يوجه حديثه الى النادل:

- انظر الى عينَي السيدة الجالسة قربي، واخبرني ما هو لونهما؟

- رمادي... رمادي داكن.

- شكراً. هذا كل شيء.

ابتسم كايد بثقة وهو يتمنى لو يستطيع ان يرى الانطباع الذي ارتسم على وجهها. وعلقت كاريسا باحتجاج:

- لم يكن ما فعلته عدلاً.

وظل ممسكاً بمعصمها رغم محاولتها الافلات منه، وضغط عليه بعنف ليتغلب على مقاومتها، قبل ان يجيبها:

- ربما. لكنك انت ايضاً كنت غير عادلة.

واحس بيدها ترتعش في قبضته فتابع قائلاً:

- لو كنت مبصراً لما حاولت خداعي. ضحكت علي لأنك احسست اني لن اعرف الحقيقة.

جمدت في مكانها، وللحظات طويلة لم تنطق بكلمة واحدة. واخيراً جاءه صوتها خافتاً:

- آسفة. لم أقصد ذلك.

ورفع يدها الى فمه قبل ان يحررها قائلاً:

- هل نذهب الآن؟

قبل ان تجيب، نادى النادل مجدداً ووضع في يده ورقة نقدية:

- هل تطلب لنا سيارة اجرة لو سمحت!

- حالاً يا سيدي.

وعندما ابتعد الرجل التفت كايد الى كاريسا:

- تعالي ننتظر السيارة في الخارج.

لحقت به باستسلام. وأمام الباب الخارجي سألها:

- هل ترين احداً في الجوار؟

- لا. الوقت متأخر جداً، والشوارع خالية.

ارتعشت عندما وضع ذراعه حول خصرها وهو يهمس:

- والظلام دامس؟

- نعم.

- حسناً.

وبسرعة خاطفة عانقها. وللحظة احس بها تتصلب، وكان ما فعل فاجأها. ابتسم بسخرية وهو يقول في نفسه: ط ناجا! انها تمثل دور الفتاة البريئة!

- هل اطلب من السائق ان يأخذنا الى فندقي مباشرة؟

ابتعدت عنه بسرعة وكأنه لدغها:

- هل تقصد... انت تريد... لا... لا استطيع... آسفة.

تساءل كايد عن السبب الذي يجعلها تمثّل هذا الدور السخيف. قالت له قبل قليل انها لا تعرف احداً في سيدني. لماذا المماطلة؟ سيجعلها تغير رأيها، لكن لا بد ان يفعل ذلك بسرعة. يومان وسيذهب كل واحد منهما في طريقه.

وضع يده على شعرها واخذ يربت على رأسها بحنان.

- أمامنا يوم واحد فقط. الا تحبين رفقتي؟

تردّدت قليلا قبل ان تهزّ رأسها بالايجاب.

- لماذا لا تمضين اذن نهار الغد كله معي؟

- لا اعرف. لا استطيع ان اعدك بشيء.

- لكنك أكدت قبل لحظة انك ترغبين برفقتي.

وسمعت صوت السيارة تقترب من المنعطف، فابتعدت عنه وهي تقول بارتياح:

- سيارة الأجرة.

عندما استقرا داخل السيارة، حاول مجدداً ان يلفها بذراعه فابتعدت عنه لتلتصق بالزاوية. ما بها؟ هل صحيح انها محافظة الى هذه الدرجة؟ ماذا تفعل معه اذن؟ هو يعرف جيداً انها تشعر بميل نحوه، فلماذا تتصرّف هكذا؟ سيترك المدينة بعد يومين، فلماذا

المماطلة؟

امسك بيدها اليسرى. لم تكن تضع خاتم زواج. ليس هذا السبب اذن. واحسّ كايد بارتياح كبير. ظلّ ممسكاً بيدها، وسألها مرة اخرى:

- لم تجيبي على سؤالي بعد!

- ان امضي نهار الغد معك؟

- والليل أيضاً!

- لن اجيب على الجزء الثاني من السؤال.

وكاد كايد يفقد السيطرة على اعصابه. ما بها هذه المرأة؟ هل تريد التلاعب بعواطفه. عرف من صوتها انها اشاحت بوجهها عنه لتنظر من النافذة.

فقال بحدة:

- لن تجيبي على الجزء الثاني من السؤال؟

- لا.

كانت ما تزال مشيحة بوجهها عنه. ضايقه تصرفها فسألها بسخرية:

- هل يعجبك المنظر الى هذا الحد؟

ارتعشت أصابعها. واحس بها تلتفت اليه بسرعة:

- آسفة. كيف عرفت؟

يبدو ان شقيقها لم يعلمها كل شيء. لكن ربما لم يكن من عادتها ان تحدّق في جهة اخرى عندما تخاطب شقيقها. ولاحظ فجأة انها المرة الثالثة التي تعتذر منه في تلك الليلة. كان الامر سيزعجه في مناسبة اخرى، او من امرأة اخرى، اما هي فاحب طريقتها في الاعتذار. وعاد يسأل برقة هذه المرة:

- فلنعد اذن الى الجزء الاول من السؤال!

- كنت اعتقد انك لا تريد سماع رأيي بالجزء الاول ما لم اعطك اولاً جوابي على الجزء الثاني.

- كاريسا يا عزيزتي. تعالي معي غداً لنتعرّف معاً على المدينة اعدك بانني لن اضايقك بعد الآن.

واحس بها تستريح في مقعدها وهي تقول بصوت طفولي:

- يسرني ان اقبل دعوتك.

رغم كل اعتراضات جاك الذي كان يصرخ بأن هناك اشياء اهم يجب الاهتمام بها، اصرّ كايد على تمضية اليوم كله مع كاريسا.

- انت مدير اعمالي يا جاك. تصرف كما يحلو لك. اعطيت نفسي اجازة هذا اليوم.

- كاريسا مارتن. اليس كذلك؟ هل تعرف يا كايد ماذا تفعل؟

- اعرف جيداً. وكما قلت لك لا اريد رؤيتك هذه الليلة.

- لكن كايد...

- سأراك غداً يا جاك.

واستقل السيارة التي كانت تنتظره في الخارج ليذهب وكاريسا الى الجبال المجاورة. اخذت تصف له بدقة وشاعرية معالم الطريق، وكان يستمع اليها بحنان، وهو يحاول ان يرى من خلال عينيها روعة المناظر الطبيعية الممتدة أمامها. رأى الشمس تتوسط السماء وتلقي بخيوطها الذهبية على البحيرات النائمة. ورأى اشجار الصمغ تقف باعتداد لتستقبل الضوء والهواء، والعصافير الملونة تملأ الدنيا بمهرجان رائع من الاخضر والاحمر والاصفر. واخذ السائق يحدثهما عن الاساطير المرتبطة بهذه الارض الرائعة، فاضفى على الجو رهبة وغموضاً. وفي بقعة خلابة ترجلا أخيراً في احضان الطبيعة. كانت تقوده برفق وسط الدروب الوعرة وهي تصف له جمال الزهور البرية الطبيعية. والنباتات المتنوعة. وحين وصلا الى اعلى التلة جلسا على صخرة صغيرة يتحدثان بانطلاق وحرية. كانت تحاول ان تجعله يشاركها روعة المشهد الممتد امامها، وكأنها ترسم لوحة كلامية.

وتشعب الحديث فسألها:

- السائق رجل في أواخر الخمسينات، طويل القامة، ويميل الى

البداية... اليس كذلك يا كاريسا؟

- نعم. هل انت دائماً بهذه الدقة في معرفة شكل الشخص الجالس امامك؟

ابتسم بخبث وهو يجيب:

- وانت شقراء الشعر، معتدلة القامة، ونحيفة البنية...

وتابع وصفه متجاهلاً شهقة التعجب التي صدرت عنها.

- اما عمرك فيتراوح بين الواحدة والعشرين والثالثة والعشرين... اليس كذلك؟

توقف قليلاً ومن ثم ضحك لصمتها المتواصل:

- لن تخبريني عن عمرك؟ الم اقترب من الحقيقة؟

- بلى. لكن الا تعرف انه من غير اللائق سؤال المرأة عن عمرها الحقيقي؟

- ما زلت صغيرة على القلق... عليك الاّ تفكري بقضية العمر قبل ان تصلي الى عمري على الأقل.

- انت لا تتجاوز الثلاثين. ومن ناحية ثانية العمر ليس مهماً بالنسبة الى الرجل، اليس كذلك؟

- تعرفين عمري!

- طبعاً. انا من المعجبات بك، واقرأ كل ما يكتب عنك.

- حسناً. وماذا تعرفين أيضاً؟

- ولدت في مكسيكو. والدتك من أسرة اسبانية عريقة عارضت زواجها من والدك، فهربا معاً الى الولايات المتحدة. توفي والدك وأنت لا تتجاوز الرابعة من العمر، وكان كل ما تركه لك قيثارة متواضعة. عندما بلغت السادسة عشرة اخذت تعزف في المقاهي لتعيل والدتك وشقيقتك الوحيدة التي تصغرك سناً. اكتشفك...

اوقفها بحركة سريعة من يده:

- حسناً. انت من المعجبات بي. أصدقك الآن.

- الم تصدقني عندما قلت لك ذلك في الطائرة، أو عندما جئت الى

الحفل؟ ألم اقل لك بأنني احب موسيقاك؟
- وكنت انتظر ان تقولي ايضاً انك تحتفظين بكل اسطواناتي.
وابتسم لها، لا ابتسامته الساخرة الشهيرة، بل اخرى فيها الكثير من المرح والحنان:
- لماذا تضحكين؟
وازدادت ضحكتها اتساعاً:
- لاني احتفظ فعلاً بكل اسطواناتك. اقسم بذلك.
نهض فجأة ورفعها من مكانها ليقربها منه. شعر بانفاسها الرقيقة تمر على وجهه كنسمة منعشة. اراح كفيه على كتفيها وسألها:
- تركت شعرك منسدلاً اليوم؟
- نعم.
ومرّر أصابعه بين الخصلات الناعمة، وودّ لو لا يتركها ابداً.
- هكذا تبدين أصغر سناً.
- ماذا؟ كيف عرفت؟
وضحكت لتخفي حيرتها.
- اعرف... من الطريقة التي يتفاعل بها الرجال معك.
حاول ان يعانقها فقاومته باصرار.
- ارجوك دعني.
رنّة الخوف في صوتها فاجأته فحاول السيطرة على غضبه. وكطفلة صغيرة عادت ترجوه بصوت خافت:
- ارجوك كايد. دعني.
فتركها على مضض وعادا معاً الى السيارة.
توقف السائق أمام فندق كاريسا. صعدت الى غرفتها لتستبدل ثيابها وانتظرها كايد في الردهة. ثم ذهبا معاً الى فندقه. وجلست كاريسا في غرفة الاستقبال التابعة لشقة كايد تنتظره حتى يغيّر هو ايضاً ثيابه ليتناولا العشاء في مطعم الفندق.
وعندما خرج أخيراً من غرفة النوم سألها:

- ما رأيك بربطة العنق هذه يا كاريسا؟
- جميلة.
جاءه صوتها من الكنبة العريضة فتوجه اليها وهو يقول في نفسه انه ربما يستطيع الآن ان يطلب العشاء الى الشقة. لكن حين نفرت من لمسة يده عرف انه لن ينتصر هذه المرة أيضاً. همس بصوته الدافىء:
- الا تبقين معي يا حبيبتي؟
لم تجب فعاد يهمس برقة:
- حبيبتي!
لم يصدّق صوتها الهامس وهي تقول بأنها ستبقى معه. حاول كايد جاهداً ألّا يدع فرحة الانتصار تبدو بوضوح على وجهه.
- حسناً. فلننزل الى المطعم اذن.
تناولا العشاء على ضوء الشموع، ورقصا معاً وهو يهمس لها بأرق الكلمات. وعندما عادا الى الشقة أحس كايد ان كاريسا عادت تتصلّب مرة اخرى. لن تغيّر رأيها الآن؟ ما بها تتلاعب بعواطفه هكذا؟ لن يدعها تفلت منه هذه المرة!
- لماذا لم تخبريني؟
لم تجبه. ظلت صامتة. احس انها تحاول بجهد المحافظة على هدوء اعصابها. لم تكن تبكي على الاقل.
- لماذا لم تخبريني انك لم تعرفي رجلاً من قبل؟
وتوقف فجأة عند فكرة اخترقت ذهنه بسرعة وجعلت قلبه ينبض. امسك بكتفيها وهو يشعر برغبة مجنونة بهزها بعنف. سألها بقسوة:
- كم عمرك؟
- عشرون عاماً.
بدت خائفة. لن تخدعه هذه المرة. عاد يهزها بعنف وهو يكرر سؤاله حتى انهارت باكية وهي تعترف بالحقيقة:
- سبعة عشرة عاماً.

صرخ عالياً:

- يا الهي... يا الهي.

كم كره نفسه في هذه اللحظة. شدّ أصابعه على كتفيها وكأنه يريد ان يحطمها. حاول جاهداً ان يسيطر على اعصابه كي لا يضربها. يكفيه ما حدث. وسمعها تقول:

- ارجوك يا كايد. انت تؤلمني.

ابتعد عنها وهو يزمجر:

- يا لك من فتاة بلهاء... يا لك من مجنونة!

تركها وذهب الى الحمام ووقف تحت المياه الباردة. وعندما عاد الى غرفة النوم وجدها تغط في نوم عميق. لا بد انها بكت كثيراً. لن يشفق عليها. انها لا تستحق الشفقة. فتاة مخادعة. هي السبب في كل ما حدث. جلس في غرفة الاستقبال يدخن بعصبية وعندما نفض رماد سيكارته لمس العلبة الصغيرة التي اعطاها له جاك بالامس. كان قد طلب منه ان يشتري قطعة من المجوهرات مطعمة بالزمرد، فتح العلبة وأخذ يلهو بالاسوارة الذهبية الرائعة المزينة باحجار الزمرد. جاك يعرف ذوقه تماماً. صحيح انه لا يستطيع ان يراها لكنه يشعر بصياغتها الدقيقة. بعد دقائق سمع كايد تململ كاريسا، ووصله صوتها المتردد يناديه بخوف:

- كايد... كايد... اين انت؟

نهض من مكانه وذهب اليها.

- كايد. الغرفة مظلمة جداً وانا لا ارى شيئاً.

وبعصبية أدار مفتاح النور وناداها آمراً:

- تعالي هنا. اعطني يدك.

اقتربت منه بخطى مترددة. امسك يدها بعنف، وضع الاسوارة حول معصمها وابتعد.

ارتجف صوتها وهي تسأل:

- هذه الاسوارة... هل اخترتها لي خصيصاً؟

- نعم. الا تعجبك؟

- بلى تعجبني... طبعاً اعجبتني. انها جميلة جداً. شكراً... لكنني لن اقبلها.

سمعها تنتزعها من معصمها لتضعها على المكتب المجاور. لامس شعرها خده وهي تمر به، فعبق انفه برائحتها الذكية. لم يعد يستطيع لجم غضبه فسخر منها بقسوة:

- طبعاً. اسف. نسيت ان الصغيرات هن اغلى ثمناً من غيرهن. اعذريني لم اكن اعرف عندما اخترت هذه الهدية انك من تلك الفئة من النساء.

- كايد!

لفظت اسمه بألم وكأنها لا تصدّق ما سمعت. هل يقصد فعلاً ما يقول؟ واحست بسكين يمزقها بدون رحمة. اما هو فشعر بالرضى للألم الذي سببه. وجاءه صوتها خافتاً متشنجاً:

- انت لم تشترني.

- بلى اشتريتك. انا دائماً اشتري نسائي بطريقة او باخرى. هذه هي الوسيلة الوحيدة التي استطيع بها التأكد بأنهن لا يخرجن معي بدافع الشفقة فقط.

- انا لم اشفق عليك. انت تعرف ذلك جيداً. ومن جهة اخرى انا لا استطيع ان اقبل هدية ثمينة كهذه.

- ولماذا؟ فزت بها عن جدارة!

- كفى يا كايد. أرجوك.

ستبكي الآن. لا بد وان تنهمر دموعها. لكن صوتها الذي خدعه بنضجه ارتفع هادئاً ينم عن اعتداد غريب بالنفس.

- وكيف اشرح لاهلي سبب حصولي على هدية كهذه.

تعليقها ذكره كم هي صغيرة، فعاد الغضب يتأجج في صدره. كيف سيتصرف مع هذه الطفلة الغبية التي تحاول ان تلعب لعبة الكبار.

- ستختلقين لهم عذراً. انت ماهرة جداً في الكذب والخداع.
- انا لم اكذب عليك.
وتابعت بهدوء مفاجىء:
- اعلم انك ظننت بأنني اكبر سناً. لكنني لم اخدعك انا بحقيقة عمري.
- قلت اني لم اخطىء كثيراً حين اشرت الى ان عمرك قريب من الثانية والعشرين او الثالثة والعشرين...
- او الواحدة والعشرين!
ذكرته برقة. وعندما ظل صامتاً اضافت:
- حسناً ربما اعتبرتها كذبا. الهذا انت غاضب مني الى هذا الحد؟ من اجل كذبة بيضاء صغيرة؟
صرخ بغضب:
- نعم. كذبة لم يكن ليصدقها اي رجل مبصر. لم يكن باستطاعتك الكذب على رجل سليم.
- كايد. آه. كايد.
احتجت بحرارة وهي تحاول ان تدافع عن نفسها.
- اي رجل كان سيصدق. اقولها بصدق. معظم الناس يظنون بأنني في العشرين. ابدو اكبر من عمري الحقيقي.
- اشك بما تقولين ايتها المخادعة الصغيرة.
- لم اقصد خداعك.
- بل قصدت ذلك.
واحس برغبة مجنونة في ايذائها اكثر.
- اردت امرأة وليس طفلة.
اصابها السهم بقوة فاجابت بألم:
- لست طفلة. بل انا معجبة بك منذ زمن بعيد. وعندما عرفتك شخصياً... احببتك.
اجابها بوحشية:

- في يومين فقط، احببتني. لا تكوني بلهاء ولا تكلمي عليّ بقصص الحب هذه.
- لا تكن قاسياً. انا اعرف عنك الكثير.
- ما قرأته في الصحف؟ معظمه اكاذيب وقصص يختلقها جاك وغيره. حتى اسمي ليس حقيقياً... مجرد اكذوبة. انت لا تعرفين شيئاً عني.
- بل اعرف الكثير. لا يهمني ان كانت معظم القصص التي تروى عنك مختلقة، او ان كان اسمك مزيفاً... ما يهمني، واعرفه جيداً، انك عملت باصرار حتى تصل الى حيث انت الآن، ولتتغلب على كل الحواجز التي تعترض طريق اي فنان. واعرف ايضاً انك تستطيع ان تكون طيباً ولطيفاً... وقاسياً.
- وصفك لشخصيتي يتجاهل نقطة مهمة، وهي ان الرجال يصبحون لطفاء عندما يريدون الحصول على شيء ما، ويظهرون على حقيقتهم القاسية فور حصولهم عليه. الم تكوني تعرفين ذلك؟
- وكيف اعرف؟
- صحيح. نسيت انها المرة الاولى التي تتعرفين فيها على رجل.
تكلم بسخرية لاذعة جعلتها تشعر وكأنها طفلة صغيرة يؤنبها الكبار على غلطة كبيرة ارتكبتها.
فقالت باستسلام:
- آسفة.
- ماذا كنت تفعلين وحدك في الولايات المتحدة. اي نوع من الاهل لديك؟
واحتجت بسرعة على هذا التعريض بوالديها:
- انهما رائعان. لا بد وأن يصابا بخيبة امل كبيرة عندما يعرفان بأني...
- لا اظن ذلك والآ لما تركا ابنتهما تجول العالم بمفردها.
- ذهبت الى الولايات المتحدة في بعثة دراسية وعشت هناك سنة

واحدة فقط. كانا يظنان ان عمتي ستنتظرني في المطار. قلت لك هذا من قبل.

عمتها المريضة اذن موجودة فعلاً.

- آسفة.

رددت مجدداً فغضب كايد لاعتذارها المتكرر.

- كفي عن الاعتذار ارجوك.

- ابتعد عنها وهو يلوح بيديه غاضباً. ومرّر اصابعه في شعره محاولاً ان يسيطر على انفعاله.

- كان عليك ان تخبريني انها كانت المرة الاولى.

- لماذا؟ ما الفرق؟

- لو عرفت ما كنت اقتربت منك.

وجلست كاريسا في مكانها، حتى لم يعد كايد يسمع صوت أنفاسها. وبعد دقائق لم يعد يشعر حتى بوجودها. اين هي؟ هل غادرت الغرفة؟ هل تركت الشقة؟ وبغضب اخذ يدور حول نفسه في الغرفة بدون ان يحسب خطواته كعادته. وعندما توقف أخيراً لم يستطع ان يحدد مكانه. لا شيء قربه يدلّه على الموقع الذي يقف فيه. ماذا لو اقترب خطوة اخرى ووجد نفسه يصطدم بالحائط، او بأحد المقاعد. وفجأة تملكه الخوف فصرخ بحيرة:

- كاريسا اين انت؟

واحس بها ترتمي على صدره فضمها اليه بعفوية وهو يسمعها تهمس برقة:

- كايد انا هنا. لا تخشى شيئاً. انا هنا.

وضع رأسه على شعرها، وشدها اليه بقوة وهو يمسح دموعها بأصابعه. واحس كايد بمرارة شديدة عندما عرف ان الفجر بزغ في تلك اللحظة.

٢- هل مرّ زمن!

قفزت كاريسا من الباص حتى قبل ان يتوقف تماماً في المحطة. وتوجّهت مسرعة الى مقر عملها. ردهة البناية الكبيرة كانت شبه خالية، ولم يكن هناك احد غيرها في المصعد الذي صعد بهدوء الى الطابق الخامس.

مشت في الرواق الطويل المفروش بسجاد أنيق، وتوقفت أمام لافتة سوداء مزينة بحروف ذهبية، كتب عليها، موريس كاري وبات، متعهد الحفلات الفنية في نيوزيلاندا. فتحت الباب ودخلت الى المكتب الذي عملت فيه طيلة السنوات الخمس الماضية.

ألقت تحية الصباح على الفتاة الجالسة وراء مكتب الاستقبال. هنا بدأت حياتها المهنية. لم تكن تتجاوز العشرين من العمر عندما

التحقت بخدمة موريس ويات، متعهد الحفلات المعروف، الذي يشهد له الناس بأنه هو الذي وضع جزر نيوزيلندا على لائحة أشهر المغنين العالميين.

اليوم هي تشغل منصب المساعدة الشخصية لموريس وتعمل في مكتب خاص بها، وتتقاضى راتباً يليق بمركزها الجديد... هي أكثر من سكرتيرة من الدرجة الأولى. انها تنوب عن موريس في الاشراف على كل الترتيبات النهائية المتعلقة بالحفلات التي يتعهدها، وتتخذ كل القرارات الحاسمة عندما يضطر موريس للسفر في مهمة ما، كما هو الحال الآن. مديرها الآن في استراليا وهي تتولى ادارة شؤون المكتب.

وأوقفها صوت موظفة الاستقبال وهي تهم بالدخول الى مكتبها.

ـ السيد ويات ينتظرك يا آنسة مارش!

ـ هل عاد من سفره؟

كانت تعلم ان طائرته وصلت في الصباح الباكر لكنها لم تتوقع ان يكون في مكتبه قبل الظهر. عادة يذهب الى شقته ليستريح قليلاً، قبل العودة الى العمل. كانت رحلاته كثيرة ومتعبة، لكن كاريسا لم تسمعه يشكو مرة واحدة من الارهاق. كم هي معجبة بهذا الرجل.

ـ قال انه يريد رؤيتك فور وصولك.

ـ شكراً يا ساندرا. سأذهب اليه حالاً.

وتوجهت كاريسا الى مكتب موريس وهي تتساءل عمّا يمكن ان يستدعي كل هذه العجلة.

في الرواق المؤدي الى غرفة مديرها، ألقت نظرة خاطفة على مجموعة صور لأشهر الفنانين العالميين ممهورة بتوقيعهم الشخصي. كلهم زاروا نيوزيلندا بناء على الحاح موريس الذي كان يبذل كل ما في وسعه ليقنعهم بأن بلاده جديرة أيضاً باهتمامهم.

لم تكن كاريسا تعلم سبب زيارته الاخيرة الى استراليا. لا بد ان الرحلة كانت في غاية الاهمية. قرأت في الصحف انه من المتوقع ان

يزور سيدني قريباً احد اشهر المغنين العالميين. لا بد ان موريس ذهب شخصياً ليقنعه بوضع نيوزيلندا على لائحة جولاته الفنية. وهو يريدها الآن، ليطلعها على كل ما تم بهذا الشأن، ومن المؤكد انه سيطلب منها الاشراف على الترتيبات النهائية لاستقبال الضيف المعروف.

كان موريس يقف قرب النافذة عندما دخلت كاريسا المكتب. لاحظت فوراً انه يضغط على ذقنه بحركة عصبية، مما يعني ان امراً هاماً يقلقه.

ـ لم أتوقع عودتك بهذه السرعة يا موريس. بلغتني ساندرا انك تريد رؤيتي. لا بد ان الأمر في غاية الأهمية.

أشار بيده الى مقعد قريب فجلست كاريسا تنتظر ان يبادرها الحديث.

موريس رجل ضخم الجثة، كثيف الشارب، شعره الاسود الغزير يغطي ياقة قميصه، وفي عينيه الزرقاوين بريق حاد ينم عن ذكاء مميّز وقدرة على التقاط أدق التفاصيل.

وفجأة ارتفع صوته قائلاً:

ـ كاريسا. اريدك ان تساعديني في أمر مهم جداً.

وأخذ يسير في الغرفة ذهاباً واياباً وهو واضح العصبية. ابتسمت كاريسا وهي تجيب:

ـ هذا ما أتقاضى راتبي من اجله. ما الأمر هذه المرة؟ هل تعاقدت مع فنان مزاجي الطباع؟ شخص يحتاج الى الكثير من الصبر والاهتمام؟

كانت تحب المهمات الغريبة، وتهوى التحدي. ومن ايجابيات عملها انها كانت تتعرض دائماً لمفاجآت مثيرة تكسر حدّة الروتين وتدخل التجديد على حياتها.

كان من الواضح ان موريس يتردد في طرح الموضوع عليها. لا بد انه يعتقد انها لن تحب هذه المهمة الجديدة. سألته بفضول فيه شيء

من القلق:
- ما الأمر يا موريس؟
- اريد ان احذرك اولاً ان الامر في غاية السرية والخطورة. انها قضية حياة او موت. لو نطقت بكلمة واحدة...
وغمزت كاريسا بعينيها وهي تقاطعه:
- لن انطق بأي كلمة.
- وتستطيعين ايضاً رفض المهمة، لانها... لا تدخل ضمن نطاق المهام التي تتقاضين راتبك من أجلها. لكنني اتمنى قبولك القيام بها، لأنني اثق بك جداً يا كاريسا. انت انسانة ذكية يمكن الاعتماد عليها. هذه المهمة تحتاج الى شخص مثلك تماماً. وأعرف ايضاً انك قادرة على التعامل مع هذا الفنان.
ابتسمت كاريسا وهي تجيب:
- لماذا كل هذه السرية يا موريس؟ من هو هذا الفنان؟
- انه من المطربين المعروفين. لا أريد ذكر اي اسماء الآن.
وتلفت حوله وكأن الغرفة مجهزة بآلات تنصت خفية. ابتسمت كاريسا رغماً عنها.
رغم كل السرية التي يضفيها موريس على الموضوع، كان من الواضح انه يستمتع بكل لحظة من هذه المغامرة الجديدة.
وتابع مديرها حديثه قائلا:
- ما أريده منك هو الاهتمام به بضعة أيام، أوربما بضعة أسابيع. اعرف انك قمت بمثل هذه المهام من قبل، لكن الأمر يختلف هذه المرة. المهمة خطرة وقد تتعرضين لسوء ما.
- لماذا؟ انا لا اعرف اي مطرب مشهور له هذه الميول الانتحارية!
- لا. ليس انتحاري الميول. لكنه مهدد!
- مهدد؟ هل تقصد ان شخصاً ما يحاول قتله؟
- شخص ما حاول قتله مؤخراً: لا أحد يعرف انه موجود هنا الآن... على الأقل آمل ذلك. المهم ان يختفي عن الانظار لفترة

معينة. هو بحاجة الآن الى من يهتم بأموره... انت يا كاري... أرجوك.
ولم تستطع كاريسا ان تستوعب كل هذه التفاصيل الغريبة دفعة واحدة فسألت:
- وهل أحمل مسدساً؟
- كفّي عن المزاح أرجوك. القضية في غاية الجدية والخطورة.
- آسفة. لكن قل لي بصراحة يا موريس، هل تعتقد فعلاً ان شخصاً ما حاول قتله. أليس الأمر مجرد خدعة اعلامية للفت أنظار الجمهور الى جولته الفنية الأخيرة؟
- لا يا كاريسا، ليست لعبة. اعرف مدير اعماله جيداً وهو الذي اخبرني بما حدث. تستطيعين رفض المهمة ان كنت خائفة. لكنني بأمس الحاجة الى انسان أثق به كنفسي.
- شكراً على الاطراء.
- تعرفين جيداً ان ما اقوله ليس اطراء الكلمات المعسولة والتي لم تمكن اي رجل من كسب قلبك. ولذا اخترتك انت بالتحديد لهذه المهمة
وقبل ان تجد الاجابة المناسبة اضاف قائلا:
- فكري جيداً بالأمر. واذا كان الجواب ايجابياً سنتابع الحديث في سيارتي.
وبعد دقائق معدودة اجابت:
- الجواب... نعم! لكن لماذا نتابع الحديث في سيارتك وليس هنا؟
ارتاحت ملامحه وهو يجيب:
- سأشرح لك كل شيء ونحن في طريقنا... اليه.
ولم تكد تمر دقائق خمس حتى كانا في سيارته في طريقهما الى شقته.
وعندما لم ينطق موريس بكلمة واحدة سألته:
- قلت انك ستشرح القضية بتفاصيلها قبل وصولنا الى البيت.

- حسناً. حدثت كل التطورات خلال رحلتي الاخيرة الى استراليا. . . لا أريد ذكر اي اسماء.

ولاحظت كاريسا ان موريس يستمتع فعلاً بكل هذه الاسرار، وكل هذا الغموض.

- الشخص المعني بالامر مطرب معروف جداً في الولايات المتحدة. ويبدو انه تلقى في الاشهر القليلة الماضية العديد من رسائل التهديد، والمكالمات الهاتفية المزعجة. ولذا نظم له مدير أعماله الجولة الفنية التي قام بها مؤخراً في استراليا، على أمل ان يتمكن رجال الشرطة من العثور على مصدر التهديد خلال غيابه. وظن الجميع ان هذا المطرب سيكون بامان طالما هو خارج البلاد، لكن احداً ما هاجمه في ملبورن وكاد يقتله. لحسن الحظ لم يصب الا بجروح طفيفة. . . وهرب المعتدي. وعندما فشل رجال الشرطة في القبض على المجرم، رأى مدير اعماله ان يستعين بخدمات مؤسسة خاصة للتحري، عرضت عليه وضع خطة معينة. . .

وتردّد موريس لحظات قبل أن يتابع:

- وعرضت عليهم مساعدتي. منذ زمن طويل أحاول اقناع هذا المغني بزيارة نيوزيلندا. لو ساعدته الآن، لا بد وان يبادلني خدمتي بخدمة اخرى. اليس كذلك؟

- نعم. ما هي الخطة؟

- الفرقة الموسيقية المرافقة له عادت الى الولايات المتحدة في الوقت المحدد، اي فور انتهاء الحفلات في استراليا. وكذلك فعل مدير اعماله. اما فهو فجاء معي سراً.

- جاء معك؟ هو في شقتك اذن؟

- نعم. ولذا كنت أريد العودة الى هناك بأسرع وقت ممكن. لا اعتقد ان احداً يعرف بوجوده هنا. لكني اعترف لك انني في غاية القلق.

- الى متى تنوي اخفاءه في شقتك؟

- الليلة فقط. غداً ستذهبان معاً الى المنزل الريفي.

- المنزل الريفي. . .

وسرحت كاريسا بأفكارها بعيداً. انه المكان الذي يستعمله موريس عادة لاستضافة المشاهير للاستراحة في احضان الطبيعة. المنزل يقع قرب بحيرة رائعة، وهو محاط بغابات خضراء توحي بالسلام والطمأنينة. المكان آمن فعلاً. والمنطقة شبه منعزلة، وغير آهلة الا بعدد قليل من الصيادين يعيشون في اكواخ بسيطة تتناثر حول البحيرة. . . لكن ماذا لو تمكن المجرم من العثور عليهما هناك! لن يستطيعا النجاة من براثنه.

واحتجت كاريسا عالياً:

- انا لم أحمل سلاحاً في حياتي. كيف احميه؟

- لا تقلقي. لن تكونا بمفردكما. سيرافقكما حارسان اختارتهما وكالة التحري للسهر على سلامتكما. مهمتك هي الاهتمام براحته، واعداد طعامه وغسل ملابسه. . .

- اي مجرد خادمة متواضعة!

- متواضعة! بمرتبك!

- انا استحق كل قرش اتقاضاه يا موريس. وانت تعرف ذلك جيداً.

وأسرع موريس يؤكد لها:

- اعرف. . . اعرف. صدقيني لو وجدت خادمة أثق بها تماماً، كما أثق بك، لما طلبت منك القيام بذلك.

- اكره اعداد الطعام!

- لكنك ستفعلين ذلك من أجلي. . . اليس كذلك؟ لا تحدثيني الآن عن حقوق المرأة وتحررها. انا بحاجة ماسة اليك يا كاري.

واستسلمت كاريسا اخيراً:

- حسناً. أوافق شرط أن لا تطلب مني اعداد الطعام للحارسين أيضاً. يكفيني الاهتمام بفنانك الذي يكاد يموت خوفاً.

- لا ليس من النوع الذي يخاف شيئاً! انه رجل مجنون وحاد الطباع لو نترك له المجال لذهب بنفسه للبحث عن المعتدي. لم يكن ليأتي معي لو لم يرغمه رجال الشرطة على ذلك.

- ارى انها ستكون اجازة ممتعة جداً.

- في كل حال أريد ان اطمئنك الى انك لن تعدّي الطعام للحارسين. سيتظاهران بانهما من صيادي الاسماك وسيعيشان في كوخ قريب لمراقبة كل التحركات المشبوهة. انت و... لا أريد ذكر اسمه... ستبقيان بمفردكما في المنزل الريفي. ابعاداً للشبهات.

- ماذا تعني؟

- ستكونان عروس وعريس يقضيان شهر العسل في مكان حالم. وهذا سيبرر عدم خروجكما كثيراً خارج المنزل.

- آه. فهمت الآن.

وصمتت كاريسا وهي تحاول ان تزن القضية من مختلف جوانبها. لو كان والدها على قيد الحياة، لما وافق على قيامها بهذا العمل، لكنه توفي ووالدتها قبل اربع سنوات في حادث سيارة. اما شقيقها كليف فيعيش في مقاطعة اخرى. لن يمانع حتى لو عرف بالامر. علاقتهما جيدة لكنهما لا يتدخلان بأمور بعضهما الشخصية.

وعندما أوقف موريس سيارته في كاراج المبنى سألته كاريسا:

- كم من المفروض ان نبقى في المنزل؟

- حتى يتمكن رجال الشرطة من القبض على المجرم. سأبقى على اتصال بك لاطلعك على آخر التطورات.

- بكلمات اخرى قد تطول اقامتي هناك فترة لا بأس بها. شهور ربما؟ آمل ان يبقى «زبونك» هادئاً طوال هذه المدة.

- اعتمد عليك يا كاري في هذه الناحية. مهمتك هي الاهتمام به والسهر على راحته. لا تنسي انني اريد منه القيام بجولة فنية لصالحي فور انتهاء هذه القصة.

- موريس... ارجو ان تكون شرحت له طبيعة عملي، حتى لا

تراوده اي افكار سيئة، ربما تعرضني الى متاعب أنا في غنى عنها.

ونظر اليها موريس معاتباً:

- طبعاً يا كاري. كيف يمكن ان يراودك الشك في ذلك؟ اخبرته ان مساعدتي الشخصية ستهتم به.

- هل يعلم ان الخطة تتطلب ان نظهر كعروسين يقضيان شهر العسل؟

- نعم.

- اذن أرجوك ان تفهمه بكلمات صارمة ان لا يتوقع مني اكثر من الطبخ وترتيب المنزل.

- سأترك لك هذا الأمر يا كاريسا. كلي ثقة بانك ستوضحين له ذلك شخصياً وبصراحة.

ونزل من السيارة قبل ان يترك لها فرصة الاجابة. وساد الصمت بينهما وهما في طريقهما الى الشقة.

غرفة الاستقبال كانت خالية، لكن كاريسا لاحظت بسرعة ان شخصاً ما يستلقي بتكاسل في الشرفة مستمتعاً بأشعة الشمس.

شدّت كاريسا قبضتها على كتف موريس وهمست:

- الن تخبرني من هو؟

- لا أسماء... ستعرفينه فور رؤية وجهه.

وتبعته الى الشرفة باستسلام.

كان الرجل الجالس هناك طويل القامة، أسود الشعر، يمكن تبين ملامحه تماماً تحت النظارتين السوداوين اللتين تخفيان عينيه تماماً، وتلقيان ظلالاً داكنة على سائر وجهه. لكن كاريسا كانت ستعرف هذا الوجه لو صادفته في أي مكان في العالم. لقد سيطر على أحلامها لسنوات عدة. هل يمكن ان تكون هذه اللحظة جزء من الكابوس؟ هل يكون هذا الرجل الجالس أمامها حقاً... هو؟

وأحست كاريسا بيد موريس تدفعها الى الامام.

- هذه كاريسا مارتن... مساعدتي الخاصة. كاري... هذا كايد

فرانكلين.
نظراته المشبعة بالمعاني الخفية، والنبرة التي تسللت الى صوته وهو يلفظ الاسم، والتعابير الماكرة التي ارتسمت على وجهه... هذه كلها اوحت انه يستخدم اسماً مستعاراً. لكن كاريسا عرفت الرجل فوراً. لم تكن تعلم انه في استراليا.

لسنوات طويلة حاولت ترويض نفسها على عدم قراءة اي شيء يتعلق به، بل تمكنت مع الايام من ان تغلق ذهنها عن الحوار الدائر حولها عندما يذكر اسمه امامها. طبعاً لم تكن تستطيع ان تتجنب رؤية صوره بين حين وآخر، او ان تسمع مقاطعاً من اغانيه، لكنها ابعدته تماماً عن حياتها الخاصة حتى اصبح بالنسبة لها مجرد فنان معروف كغيره من الفنانين.

ولم تشعر كاريسا بيد كايد تمتد اليها الا عندما احست بأصابعه تضغط بقوة على يدها، وبصوته الهادىء يقول:

- اهلاً بالآنسة مارتن. سمعت الكثير عنك من موريس. قال انك اجمل واكفأ مساعدة يمكن العثور عليها.

- شكراً للاطراء يا سيد فرانكلين.

ولم تنطق بكلمة اخرى، بل القت نفسها بثقل على اقرب مقعد.

لا. لم يكن ما تراه حلماً. هو كايد. لم يتغير، فقط بضع شعيرات بيضاء لونت شعره الاسود، وخطوط رفيعة تسللت حول فمه.

كان عليها ان تحدثه... ان تسليه... لكنها عاجزة عن القيام بذلك. في اي حال لا يبدو وكأنه بحاجة الى من يخفف عنه. ها هو يستلقي بتكاسل في مقعده المريح، واضح الهدوء والاسترخاء.

وعندما عاد موريس بأكواب الشراب رفع كايد النظارتين السوداوين عن عينيه، ومد يده لتناول كوبه. ثم نظر اليها متفحصاً وجهها باهتمام قبل ان يهز رأسه اعجاباً وهو يقول:

- نسي موريس ان يخبرني كم انت جميلة!

حدقت به غير مصدقة. وشهقت بدهشة وهي تقول:

- لا اصدق. انت ترى اذن؟

- الم تعلمي اني استعدت بصري؟

هزت رأسها بالنفي وهي غير قادرة على النطق بكلمة واحدة. لم تكن تتوقع هذه المفاجأة.

- اجريت لي عملية جراحية ناجحة منذ سنتين، واستعدت نظري كما ترين.

ونظر اليها باستغراب وفضول، فتأكدت انه لم يعرفها. لا بد انه التقى بالعديد من النساء بعدها. طبعاً لم يتذكرها. وجهها لم يره من قبل، ومن الواضح ان اسمها لا يعني له شيئاً. لا بد انه استغرب كيف لم تسمع انه استعاد بصره رغم انها تعمل في المجال الفني. آه لو يعلم كم عانت كي تتمكن من ابعاد شبحه عن حياتها!

وقطع صوت موريس حبل افكارها:

- هل تهتم الآن بالترتيبات النهائية؟ كاري. ارجوك اتصلي بوكالة تأجير السيارات واطلبي منهم تسليم السيارة هذه الليلة. قومي بذلك هاتفياً كي لا نخاطر بأن يلحق بك احد. وبمجرد حلول الظلام ستتحركان باتجاه المنزل الريفي. انت التي ستجلسين وراء المقود يا كاري. لا تسرعي. الطريق خطرة.

- اعرف ذلك.

اجابت كاريسا هامسة. هي تخشى القيادة ليلاً في تلك المنعطفات الصعبة. واحس موريس بقلقها فقال:

- حاولي القيادة ببطء شديد. لا تخشي شيئاً. الحارسان سيرافقانك حتى المنزل الريفي.

واطمأنت كاريسا قليلاً:

- واين هما الآن؟ في الخارج؟

- نعم. رأيت أحدهما في الرواق الخارجي ونحن ندخل الشقة.

- حسناً. لكن عليّ ان احضر بعض الثياب قبل الذهاب.

- كم تحتاجين من الوقت لحزم حقائبك؟

- نصف ساعة فقط. لست بحاجة الى الكثير من الثياب. لكن عليّ أن اعود اولاً الى المكتب لاعطاء التعليمات اللازمة لسير العمل في فترة غيابي.

- فكرة جيدة. هكذا ستبدو الأمور طبيعية في حال وجود شخص ما يراقب تحركاتنا.

- هل تظن ان الشخص المعني تمكّن من اللحاق بكما من استراليا؟

- لا. لكن من الافضل عدم المجازفة، والاستعداد لكل المفاجآت.

لم يشارك كايد في الحديث، فلم تتمكّن كاريسا من معرفة رأيه بالموضوع. كان يبدو وكأن القضية كلها تصيبه بالضجر.

وغادرت كاريسا الشقة لتعود الى مكتبها. ورغم تراكم العمل عليها، الا انها احست بسعادة كبيرة لابتعادها، ولو لساعات قليلة، عن كايد. وفي الموعد المحدد للانصراف، تركت كاريسا المكتب بعد ان سلمت الفتاة التي ستنوب عنها في فترة غيابها كل ما يمكن ان تحتاجه من أوراق وملفات ومعلومات. حزمت حقائبها بسرعة وعادت الى شقة موريس.

وفي تمام الساعة التاسعة والنصف انطلقت السيارة باتجاه المنزل الريفي. واطمأنت الشابة وهي ترى في مرآتها الامامية أضواء سيارة المرسيدس الخضراء التي سترافقها طول الطريق.

وركزت كاريسا ذهنها على القيادة وهي تحاول بصعوبة ان تتجاهل الرجل الجالس قربها. حافظت على حدود السرعة القصوى المسموح بها، وكانت تسترق النظر بين الحين والآخر لتتأكد من وجود الحارسين وراءها.

أحست بكايد يلتفت الى الوراء، واحرقتها النظرة الفاحصة التي رماها بها قبل ان يعيد بصره الى الطريق.

حاولت كاريسا ان تسيطر على توترها، وهي تذكّر نفسها انه يعتقد انه لم يرها من قبل. طبعاً لن تذكره بلقائها القديم. لا تريد

ذلك. ما تشعر به الآن ليس حباً، بل مجرد تأثر لذكرى محزنة تركت أثاراً سلبية على حياتها كلها. لكن لماذا ترتعش عندما يلامس كتفها كتفه؟ حبها له انتهى منذ سنوات طويلة! وجوده قربها يزعجها. لا بد ان تسيطر على هدوء اعصابها.

واسترقت كاريسا نظرة خاطفة الى الرجل الجالس بجوارها. انه لا يشعر بوجودها الاّ كما يحس اي رجل امام امرأة جميلة. هل حذره موريس، يا ترى، من ان واجباتها نحوه لا تتعدّى المطبخ والاهتمام بشؤون المنزل؟ هي غير متأكدة من ذلك. فمن عادة موريس ان يتملص من اي مواجهة مباشرة قد تحرجه او تزعجه.

وجاءها صوت كايد:

- انت سائقة ماهرة.

صوته الهادىء جعلها تضغط بقوة على المقود وكأنها تحتمي به من نفسها.

- هل تمانعين بأن اتحدث اليك وانت تقودين؟

- لا. طبعاً لا.

كاد هدوؤها المصطنع يفضح مشاعرها الحقيقية. من عادتها ان تفرح لوجود رفيق يؤنس وحدتها في الرحلات الطويلة لكنها خائفة هذه المرة من ان تصدر عنها اي كلمة تذكره بها. عليها ان تتغلّب على اضطرابها. من واجبها ان تروّح عنه. فلتدعه يتكلّم ان كان يريد ذلك.

- كم يبعد المنزل الريفي من هنا؟

- بضع مئات من الأميال، وخمس ساعات من القيادة. اي سنكون هناك حوالى الساعة الثانية صباحاً.

- اعتقد بأنني استطيع ان احسب بمفردي.

سخريته اللاذعة جعلتها تعتذر بعفوية:

- آسفة.

اقترب منها بسرعة وأخذ يحدق في ملامحها. توترت اعصابها

وتساءلت عن السبب الذي يجعله يتصرف هكذا؟

حاولت ان تبدأ حديثاً سطحياً عابراً تداري فيه اضطرابها.

- هل تستطيع القيادة؟

صمت لحظات قبل ان يجيب:

- نعم. كانت القيادة من اولى الاشياء التي تعلّمتها بعد استعادة بصري. هل تريدين ان انوب عنك قليلاً؟ صحيح اني لا اعرف الطريق لكن. . .

- لا. شكراً. موريس طلب ان أقوم أنا بهذه المهمة.

- هل تنفذين دائماً كل ما يطلبه منك موريس؟

- في معظم الاحيان. هل نسيت انه رئيسي في العمل؟

كان لا يزال ينظر اليها لكنها أبقت نظرها مسمّراً على الشريط الممتد أمامها. لن يستطيع في أي حال ان يتبين ملامحها في هذا الظلام الدامس وسألها:

- منذ متى تعملين لدى موريس؟

- منذ خمس سنوات.

- كمساعدته الخاصة؟

- بدأت كموظفة استقبال.

- وصعدت السلم تدريجياً؟ فتاة ذكية.

لم تعجبها الطريقة التي تكلّم بها، لكنها لم تجد في الكلمات شيئاً يجعلها تعترض. فسكتت. وكذلك صمت كايد، لكنها أحست بتوتره رغم تظاهره بالهدوء.

وعادت كاريسا تنظر في المرآة الأمامية لتتأكد من وجود السيارة الخضراء وراءها. ولا بد ان كايد كان يفكر بالأمر ذاته اذ علق قائلاً:

- لا تخشي شيئاً. هما خلفنا. أعتقد ان موريس اطلعك على تفاصيل القصة؟

- قال ان حياتك في خطر وان عليك ان تختبىء في مكان أمين حتى يقبض رجال الشرطة على المجرم.

رفع كايد يده بعصبية ففهمت انه تضايق من كلمة، تختبىء.

وتابع حديثه قائلاً:

- يعرفون من هو وراء التهديدات، لكنهم بحاجة الى أدلة دامغة تثبت الذنب على المذنب.

- آه، فهمت.

- انت هادئة جداً.

- ليست حياتي المعرّضة للخطر!

وضحك برقة فتذكرت كاريسا اياماً ماضية مرّت كشريط سينمائي في عتمة السيارة. وأحست بألم حاد وهي تحاول ان تبعد شبح الذكريات.

- حياتك ستكون معرضة أيضاً يا كاريسا. لا تنسي انك ستبقين معي حتى تنتهي هذه القصة.

- موريس أكد لي ان احداً لم يلحق بكما من سيدني. لا داعي للقلق. المجرم لا يعرف بالتأكيد اين انت الآن. الحارسان هما لمزيد من الحرص لا أكثر. ستمضي اياماً قليلة في المنزل الريفي. وعندما يحصل رجال الشرطة على الأدلة التي يريدون سيصبح بامكانك. . .

- الخروج من المخبأ.

قاطعها ساخراً قبل ان يضيف:

- هل تحاولين التخفيف عني؟

وارادت كاريسا ان تبادله سخريته فقالت:

- هذا جزء من عملي يا سيد فرانكلين.

- اخبريني عن الاجزاء الاخرى أيضاً.

- حسناً. ساعرفك اولاً على المكان. يقع المنزل الريفي في بقعة ساحرة، ويطل على بحيرة رائعة. تستطيع ان تقوم يومياً بنزهات طويلة في الغابات، وان كنت تحب رياضة التجديف ستجد مركباً صغيراً بانتظارك. اما انا فسأهتم بطعامك، وبترتيب المنزل، وبالسهر على راحتك.

- راحتي؟ يبدو أنني سأتمتع فعلاً بالاقامة هناك.
حاولت كاريسا ان تتجاهل قصده لكنه تابع قائلاً:
- الم تغفلي شيئاً في هذا البرنامج الحافل؟
- ماذا تعني؟
- فهمت ان برنامج موريس يتضمّن أيضاً مسرحية ميلودرامية. أليس من المفروض ان تكوني عروسي الجديدة؟
وباقتضاب اجابت كاريسا:
- نعم. لكنني لا اظن اننا بحاجة فعلاً الى تأدية الدور. المنزل الريفي بعيد عن المدينة، والجيران الذين يحيطون بنا قلائل جداً. لا اعتقد أننا سنلفت انتباه أي كان.
- الآن تبدين حقاً كما وصفك موريس؟
- حقاً؟
انتظر قليلاً، ولما لم تعلّق شيئاً اضاف قائلاً:
- لن تسأليني ما قصدت أليس كذلك؟ سأخبرك في اي حال. قال موريس انك فتاة ذكية وجديرة بالثقة، وانك تحافظين على هدوء اعصابك في اي موقف. وقال ايضاً انك شخصية مميزة... ولهذا فوجئت عندما رأيتك.
- حقاً؟ لم اعرف ذلك.
- حقاً؟ واعتقد انك فوجئت ايضاً برؤيتي. أليس كذلك؟
واعترفت رغماً عنها:
- نعم.
لكنها عادت تستطرد بسرعة:
- لم اكن اعلم انك استعدت بصرك.
- انت لا تتابعين اخباري اذن؟ قصة العملية الجراحية نشرت على الصفحات الاولى في معظم الصحف العالمية... وبعضها يصدر هنا.
- كنت دائماً معجبة بفنك

أجابها ساخراً:
- انت دبلوماسية ماهرة. لا أستغرب الآن ان يعتمد عليك موريس الى هذه الدرجة. انت مساعدة ماهرة في كل شيء إلاّ...
وفجأة امسك بيدها اليسرى ومرر اصابعه عليها برقة وهو يقول:
- كان عليك ان تضعي حول اصبعك خاتم زواج.
ارتعشت للمسته وسحبت يدها بسرعة.
- لم يكن من المفروض بك ان تمسك يدي وأنا أقود!
- لماذا؟ لا أعتقد ان الطريق بهذه الخطورة.
وحاولت ان تبرر انفعالها فقالت:
- فاجأتني.
- آسف. المرة المقبلة سأحذرك قبل ان ألمس يدك.
لا بد انه يسخر منها. هل عرف السبب الحقيقي وراء ردّة فعلها الساذجة؟ كان عليها ان تهزّ كتفيها بلا مبالاة، وان تضحك قبل ان تسحب يدها من قبضته. وتابعت حديثها:
- لا اعتقد ان احداً سيلاحظ خاتم الزواج. لن نبتعد كثيراً عن المنزل في اي حال. سنتجنب الناس.
- انت تفكرين في كل شيء يا كاريسا. تبدين في غاية الهدوء والثقة وكأنك تقومين بهذا النوع من المهمات كل يوم.
- لا. ليس بالتحديد هذا النوع من المهمات!
وسألها هامساً:
- وهل تقولين الحقيقة دائماً يا كاريسا؟
ارتعشت عندما ذكر اسمها الكامل. صحيح انها لم تكن تحب الاسم المختصر الذي اطلقه عليها موريس لكنها اجابت:
- موريس يناديني باسم كاري يا سيد فرانكلين.
- أفضل اسم كاريسا. ومن جهة اخرى، الا تعتقدين يا عروسي العزيزة انه من غير اللائق ان تنادي زوجك بالسيد فرانكلين؟ ما رأيك باسم كايد.

- آه طبعاً.
وانتظر قليلا كي تلفظ اسمه. لكنها لم تفعل ذلك، بل سألته:
- هل تحب الاستماع الى الراديو؟
بلا مبالاة أجاب:
- افعلي كما يحلو لك.
وارتفعت الموسيقى في السيارة فانقطع الحديث تدريجياً.
وبعد دقائق انحرفت كاريسا عن الطريق الرئيسية.
انتظرت قليلا عند المنعطف لتتأكد من وجود السيارة الخضراء وراءها، وانطلقت مجدداً. ولاحظت كاريسا بعد فترة بسيطة ان اضواء السيارة خلفها تضيء وتطفىء بسرعة فتوقفت الى جانب الطريق.
- ما الأمر؟
سألها كايد. كانت تظن انه نائم لكنها كانت مخطئة.
- اعتقد انهما يشيران لنا بالتوقف.
وحاولت ان تسكت المحرك لكن كايد منعها من ذلك:
- دعي المحرك.
اقترب منها احد الحارسين قائلا:
- اطفئي الاضواء الامامية يا آنسة مارتن. انتظري اشارتنا قبل الانطلاق مجدداً. نريد التأكد ان احداً لم يلحق بنا.
فعلت كما طلب منها واختفى الرجل في الظلام. وخرج كايد عن صمته ليقول:
- اطفئي المحرك الآن.
وعندما سكت ضجيج المحرك سمعت كاريسا نبضات قلبها تصرخ عالياً. قالت لنفسها ان ما تشعر به هو الخوف من الظلام الدامس، وامكانية وجود رجل مجهول يتربص بها ليقتلها. لكنها كانت تعرف جيداً ان ما تحاول ان تقنع نفسها به ليس الحقيقة. سبب اضطرابها هو وجود كايد بجانبها. وفجأة شعرت برغبة في الاحتماء به...

٣ - لمسة الذكرى

جلسا في الظلام الدامس يلفهما الصمت. وبعد ربع ساعة تقريباً اشار لهما الحارسان بالتحرك. فعادت كاريسا تركز اهتمامها على القيادة. كم تشعر بالارهاق. هي تعبة، وتريد ان تغلق عينيها في نوم عميق. عليها ان لا تستسلم لهذا النعاس.
كان كايد قد اسكت المذياع عندما طلب منها اطفاء المحرك فسألته:
- هل تمانع الاستماع الى المذياع مجدداً.
- طبعاً، كما تريدين.
وعادت الموسيقى الهادئة تملأ الجو.
- ما بك يا كاريسا؟ هل انت بخير؟

- نعم لا تقلق. اشعر بارهاق بسيط. القيادة متعبة في الظلام والطريق طويل. احس بملل.
- هل هذا تعليق على رفقتي؟ هل تفضلين ان اتحدث اليك؟
- طبعاً لا.
- طبعاً لا . . . ماذا؟
- اقصد اني لم اعلق على رفقتك. مللت الطريق . . . لا رفقتك. تكلم ان كنت ترغب بذلك، لكن لا تعتبر نفسك ملزماً بتسليتي.

وهمست كاريسا لنفسها: بل على العكس تماماً، من المفروض ان اكون انا الملزمة بالترويح عنك على الاقل هذا ما طلبه موريس منها. لو عرفت مسبقاً شخصية الرجل الذي وضعه مديرها في عهدتها، لما وافقت على القيام بهذه المهمة. لكنها لا تستطيع ان تتراجع الآن بدون اثارة شكوك موريس. في اي حال، لن تترك وجود هذا الرجل يؤثر عليها. عليها ان لا تنسى انها لم تعد مراهقة في السابعة عشرة من عمرها بل امرأة ناضجة في الخامسة والعشرين. لن تكرر مرة اخرى اكبر خطأ ارتكبته في حياتها.

تبادلا بضعة احاديث سطحية تخللها الكثير من فترات الصمت. وعندما توقفت السيارة اخيراً امام بوابة المنزل الريفي تنفست كاريسا الصعداء.

توقفت سيارة المرسيدس وراءهما، فترجل الحارس ذاته واقترب منهما. اشارت له بيدها الى الدرب المؤدي الى كوخ الصيادين، فأشار بدوره الى صديقه بالتوجه الى هناك، ولم يتحرك هو من مكانه.

- ان كنت لا تمانعين يا انستي. سأذهب برفقتكما الى المنزل الريفي.

ناولته مفاتيح البوابة الحديدية. وعندما فتحها على مصراعيها انتظر مرور كاريسا ليعود ويغلقها جيداً. ثم صعد في المقعد الخلفي. لم يتكلم حتى اوقفت الفتاة السيارة في المرآب.

- ارجوكما البقاء هنا. سأتفقد المنزل اولاً. اعطني المفاتيح من

فضلك. لا تغادرا مكانكما قبل عودتي.

واختفى في الظلام. احست كاريسا بتوتر كايد الذي فتح باب السيارة بعصبية. فذكرته برقة:
- طلب منا البقاء هنا!
- انه يعمل عندي. انا الذي اصدر الأوامر.
- انه يؤدي عمله. دعه يفعل ذلك.

تمتم بكلمات غير مفهومة فعرفت انه يريد اللحاق بالرجل، بدل الجلوس كأي جبان رعديد. وتذكرت ان عليها الاهتمام بسلامته، فكذبت قائلة:
- من جهة ثانية . . . لا احب البقاء بمفردي في هذا الظلام الدامس.

نظر اليها بحدة واغلق الباب بقوة.
- لم اكن اظن انك امرأة ضعيفة.
- لست كذلك!

واحست فجأة باصابعه الباردة تلف معصمها، وسمعت نبرة ساخرة في صوته وهو يعلق ببطء:
- اعتقد ان نبضك سريع بعض الشيء.

لم تستغرب كاريسا ذلك. دقات قلبها كانت تتسارع وهو لا يشعر بالذكريات التي تدفقت في وجدانها حين لمسها. فجأة احست بكره شديد نحوه.

كيف يجرؤ على التصرف بهذه الحرية واللامبالاة. لقد غير مجرى حياتها وجعلها عاجزة عن التجاوب مع اي رجل آخر . . . حطم حياتها، وها هو يجلس قربها الآن، لا يتذكر اي شيء عن اللحظات الحميمة التي جمعتهما . . . وكرهته اكثر لأنه لا يتذكر.

هذه المرة لم تسحب يدها من قبضته، بل شعرت برغبة بدائية لرفعها وصفعه بكل المها وغضبها. تمالكت اعصابها، وسحبت يدها بهدوء.

وبعد دقائق عاد الحارس ومعه رفيقه فاستغربت كاريسا الأمر.

- كيف تمكن رفيقك من فتح البوابة؟ ظننت انك اغلقتها بالمفتاح بعد دخولنا.

- السيد ويات اعطانا مفتاحاً اضافياً، استعداداً لكل الاحتمالات. تستطيعان دخول المنزل الآن. تركنا رقم هاتفنا على طاولة الاستقبال. تصبحان على خير.

خرج كايد اخيراً عن صمته ليقول:

- شكراً لك يا ستان. تصبح على خير يا بات.

وعندما ابتعد الحارسان سألت كاريسا بدهشة:

- ستان؟ بات؟ متى التقيت بهما؟

- اثناء وجودك في المكتب. لا يستطيعان بالطبع اداء مهمتهما بدون التعرف اولاً على المعني بالقضية.

- اسفة. لست معتادة على هذا النوع من المغامرات البوليسية.

- ولا أنا.

غادرا السيارة وحملا حقائبهما الى المنزل. دخلت كاريسا المطبخ الصغير والقت حقيبتها ارضاً.

- سأضع ابريق القهوة على النار، ومن ثم ادلك على الغرف لتختار التي تعجبك منها.

ملأت ابريق القهوة بالماء، ووضعته على نار هادئة، وصعدا معاً الى الطابق الأعلى. فتحت كاريسا باب غرفة النوم الأولى وسألته:

- اتعجبك هذه؟ انها مجهزة بحمام خاص.

- حسناً. سأبقى هنا.

القى غيتاره على السرير بينما ذهبت كاريسا لاحضار الاغطية والوسائد والمناشف. وعندما عادت كان كايد قد خلع سترته وربطة عنقه. كم يبدو وسيماً وجذاباً. لا. لن تستسلم لسحره.

- القهوة ستكون جاهزة بعد خمس دقائق.

ولحق بها الى المطبخ. رأى حقيبتها مرمية ارضاً فحملها سائلاً:

- اين تريدين ان اضعها؟

- دعها الآن. سأحملها الى غرفتي لاحقاً.

لم يتحرك من مكانه، ولم ينزل الحقيبة من يده.

- اين تريدين ان اضعها؟

ترددت كاريسا لحظة فسبقها الى القول:

- ما رأيك بالغرفة المجاورة لغرفتي؟

- لا بأس. شكراً.

لماذا تشعر بكل هذا الخوف؟ يا لها من بلهاء! ما الفرق ان نامت في الغرفة المجاورة او في الجهة الثانية من المنزل؟ هما بمفردهما في اي حال فما الفرق؟ وعندما عاد كايد كانت القهوة بانتظاره على المائدة.

- كيف تفضل قهوتك؟ مع حليب؟

- لا بدونه. شكراً.

كانت تعرف جيداً كيف يفضل قهوته، وان ادعت عكس ذلك.

شربا القهوة بصمت، وعندما رفعت كاريسا الفناجين لتغسلها تعثرت بالكرسي وكادت تسقط ارضاً لو لم يسارع كايد لاسنادها.

- انت مرهقة. دعي الفناجين. سأغسلها بنفسي. اذهبي الى فراشك.

لم تعارضه. كانت متعبة فعلاً.

عندما فتحت عينيها صباح اليوم التالي رأت كايد واقفاً قرب النافذة.

- جئتك بطعام الفطور. ستتناولينه اليوم في الفراش.

ابتسمت وتناولت طعامها بشهية. وعندما انتهت حمل الصحون الفارغة وخرج من الغرفة.

ارتدت كاريسا ملابسها ونزلت الى المطبخ. ابتسمت مجدداً وهي ترى الاطباق نظيفة مرتبة. بحثت عنه فلم تجده في المنزل. خرجت الى الشرفة تفتش عنه بعينيها حتى رأته واقفاً قرب البحيرة القريبة، فلحقت به.

توقفت على بعد خطوات منه تراقبه باهتمام. ظنت انه لم يشعر بوجودها، ونسيت انه يستطيع بحاسته المرهفة التي اكتسبها وهو اعمى، ان يحس بوجود الاشخاص حتى بدون ان يسمعهم او يراهم.

- الا تعتقدين ان العروس العاشقة تقترب عادة من عريسها لتمسك بذراعه؟ هناك شهود.

ورأت كاريسا بضعة قوارب على البحيرة. صيادو اسماك يجربون حظهم.

- اعتقد ان اهتمامهم كله منصب على الاسماك.

ورغم ذلك اقتربت منه ووضعت يدها تحت ذراعه.

- هل انت مسرور الآن؟

- لا. كنت افضل عناقاً اكثر حرارة.

وضحك عالياً عندما رأى حمرة الخجل تلون وجنتيها. لكنه توقف عن الضحك وهو يرى لمحة الكره في عينيها. حاولت ان تسحب يدها فمنعها بقسوة.

- لا تقاومي. لن تستطيعي التغلب علي.

- القوة الجسدية ليست كل شيء.

- تملكين اسلحة خاصة بك؟ اسلحتك يا عزيزتي تكون اكثر فعالية لو لم تظهري نفورك مني بهذا الوضوح.

وتذكرت كاريسا انها هنا لتأدية عمل.

- انا لا انفر منك.

لكن غضبها عاد لينتصر على احساسها بالواجب.

- لا تلمني ان غضبت. انت تتعمد اهانتي.

- لماذا؟ لأني ارغب بعناقك.

- افضل ان لا تلمسني على الاطلاق.

- هذا امر صعب! لا تنسي انه من المفروض بنا ان نمثل دور العاشقين.

- فلنعد الى المنزل.

وبعد الغداء ذهبت كاريسا الى القرية المجاورة لشراء بعض الخبز والبيض الطازج. كانت حجة جيدة للهروب من صحبة كايد ولو لساعات قليلة.

دخلت كاريسا المحل التجاري الصغير الذي قصدته مراراً في زياراتها السابقة وحيت السيدة الواقفة وراء الطاولة الكبيرة. لم تعرف اسمها، لكنها تذكرت وجهها.

- اهلاً. الست انت السيدة التي تعيش في البيت الريفي الكبير؟

هزت كاريسا رأسها بالايجاب وهي تخرج لائحة بكل الاشياء التي تريدها.

- اين تضعين البيض الطازج الآن؟

- على الرف المقابل يا عزيزتي. لم نرك منذ فترة طويلة. الديك الكثير من الزائرين هذه المرة؟

ترددت كاريسا قبل ان تجيب:

- لا. انا... وزوجي فقط.

اغلق ستان الباب وراءه بشدة وهو يدخل الدكان. حياهما بهزة رأس لا مبالية. طبعاً لم يكن من المفروض به ان يعرفها.

وتجاهلت البائعة وجود ستان لتسأل بفضول:

- لم اكن اعلم انك متزوجة.

- لم اكن متزوجة.

وابتعدت كاريسا بسرعة وهي ترتعش قلقاً. هل صدقتها البائعة يا ترى؟

جمعت الاشياء التي تريد وعادت لتدفع الحساب. ولاحظت ان السيدة تنظر الى يدها باهتمام قبل ان تعلق قائلة:

- آه... فهمت الآن.

وغادرت كاريسا المكان وهي لا تعرف ما الذي فهمته البائعة. لحق بها ستان وهمس بسرعة وهو يمر قربها:

- اريد ان اراكما الليلة.

واكمل سيره وكأنه مجرد عابر سبيل. وعندما اخبرت كاريسا كايد برغبة الحارس قال لها:

- سنذهب في نزهة قصيرة الى جانب البحيرة.

وهناك وجدا سنان منهمكاً في القاء صنارته الى المياه، بينما كان بات جالساً في قارب صغير وسط البحيرة.

رفع الصياد يده محيياً، فأحاط كايد كاريسا بذراعه واقتربا منه:

- كيف الصيد اليوم؟

- لم يعلق شيء بصنارتي بعد. لكني لن اياس. لن تفلت السمكة من يدي، انا بانتظارها.

وخفض صوته ليضيف:

- لا تذهبا في نزهات طويلة قبل اخبارنا اولاً بوجهتكما. الغابة غير آمنة. وهناك شيء اخر. السيدة نسيت ان تضع خاتم زواجها اليوم. لاحظت البائعة ذلك.

- لكنني لا املك خاتم زواج.

- اشتري واحداً وبسرعة. من الافضل ان لا تتكلم طويلاً. قد يكون هناك من يراقبنا بنظارات مقربة. الى اللقاء.

وعندما ابتعدوا عنه، استغل كايد دخولهما في طريق فرعي ليهجم على كاريسا محاولاً عناقها، فدافعت عن نفسها بضراوة، اضطرته الى التراجع عن موقفه.

وعادا الى المنزل. شغلت كاريسا نفسها باعداد طعام العشاء وجلس كايد في غرفة الجلوس يعزف على الغيتار احياناً وعلى البيانو احياناً اخرى. فعرفت انه يؤلف اغنية جديدة.

رفضت كاريسا ان يساعدها كايد في غسل الصحون بعد ان انتهيا من تناول الطعام فعاد الى غرفة الجلوس ليحمل غيتاره... ويحملق في الفضاء. لحقت به كاريسا بعد قليل. تناولت كتاباً بوليسياً وادعت الاستغراق في القراءة. سرحت مع افكارها، فلم تسمع كايد يقترب

منها:

- جربي هذا.

رفعت عينيها اليه فرأته يحمل خاتماً ذهبياً.

- جربي هذا الخاتم. كان علي ان افكر بذلك قبل الآن.

الخاتم يبدو مألوفاً. وتذكرت انها رأته في يد كايد. ترددت قليلاً. لا تريد ان تضع خاتمه حول اصبعها. امسك يدها اليسرى بعصبية وادخل الخاتم في اصبعها.

لم يترك يدها. اخذ يحدق في الخاتم، ثم ضحك بمرارة وقال:

- هذا خاتم زواج والدتي.

ضحكته اخافتها. سحبت يدها بسرعة لتنزع الخاتم عن اصبعها. فمنعها قائلاً:

- لماذا تريدين نزعه؟

- اتسأل لماذا؟ انا لست زوجتك. ان اضع خاتم والدتك مهزلة لن اقدم عليها. ومن جهة ثانية الخاتم كبير على اصبعي. ماذا لو فقدته؟

- لا يهم. انا لا ارى فيه اي قيمة عاطفية. لا يعني لي شيئاً.

٤ – لم استطع نسيانك

وضعت كاريسا الخاتم حول اصبعها ونظرت اليه بامتعاض. ماذا لو سقط سهواً؟ لا بد ان تربط حوله خيطاً رفيعاً كي تطمئن تماماً.

صباح اليوم التالي نهضت باكراً لتعد طعام الفطور قبل نزول كايد. في الأيام الثلاثة الماضية وضعا معاً نوعاً من الروتين لحياتهما اليومية. كانا يخرجان صباح كل يوم للتنزه في احضان الطبيعة، بين الاشجار او قرب البحيرة. اما بعد الظهر فكانا يسبحان في البحيرة ومن ثم يستلقيان بتكاسل تحت اشعة الشمس فوق الرمال الدافئة. بعض الأحيان كان كايد يضع ذراعه حول كتفيها او خصرها، ولم يكن بامكانها مقاومته حفاظاً على دورها كعروس جديدة، وخشية وجود من يراقبهما من بعيد.

كانت احاديثهما مهذبة وشبه رسمية. ورغم انه كان يلفظ اسمها بصوت دافىء وعاطفي، التوتر السائد بينهما لم يكن ناتجاً عن الخطر الذي يهددهما، بل بسبب كونهما معاً في مكان منعزل وحالم. حاولت كاريسا ان تنسى ما حدث قرب البحيرة، ولم يجرب كايد ان يذكرها به. لكن اثر ما جرى ما يزال عالقاً بينهما كمتفجرة تحتاج الى لمسة بسيطة لتحدث كارثة ما. كان عليها ان تكون شاكرة له لانه لم يحاول لمسها مرة ثانية.

ولازما المنزل حتى قام بات وستان باستكشاف كل ارجاء المنطقة المجاورة للكوخ. ودل تقريرهما على عدم وجود اي اشارة تدعو الى القلق. فالتحريات اكدت ان احداً ما لم يهتم او يسأل عن سكان المنزل الريفي، وانه لم يكن بامكان احد التسلل الى المكان لان كل الطرق المؤدية اليه تمر قرب الكوخ الذي يشغله الحارسان.

وعبّر كايد عن رغبته في التنزه في الغابة القريبة، فاكد له بات انه باستطاعته ان يفعل ذلك بدون خوف، وهو في اي حال، لن يدعه يغيب عن ناظريه.

وانطلق كايد وكاريسا الى التلال القريبة من البحيرة.

- اريد ان اصل الى قمة اعلى تلة يا كاريسا. ما هو الوقت الذي تستغرقه الرحلة؟

- ثلاث ساعات.

- هل تستطيعين تحمل مشاق السير؟

- نعم، لا تقلق. قمت بهذه النزهة مرات عدة.

- حسناً. سنخبر بات وستان باتجاهنا، ونكمل السير.

وبعد نصف ساعة من السير التقى كايد وكاريسا ببات وستان يخرجان من احد الدروب الصغيرة. كانا يرتديان ثياب الصيادين. تقدمهما ستان، وظل بات في المؤخرة.

لم يقل كايد شيئاً، لكن كاريسا احست بانزعاجه الشديد من وجودهما. كان يكره ان يشعر بأنه تحت المراقبة.

سمعت تغريد عصفور فتوقفت قليلا، ورفعت عينيها الى الاشجار لتحدد مصدر الصوت اقترب منها كايد، فهمست:
- هل رأيت عصفور «التوي» من قبل (طير يعيش في نيوزيلندا).
واشارت بيدها الى طائر اسود اللون، حول عنقه هالة من الريش الابيض. واستمعا اليه يغني بسعادة لكنه ما لبث ان هرب عندما شعر بوجودهما، فتابعا طريقهما، وبعد دقائق كادت كاريسا تتعثر بغصن شجرة، فتلقاها كايد بين ذراعيه.
- آسفة.
قالت بسرعة وهي تحاول الابتعاد عنه. لم يدعها تذهب، وعانقها برقة. وبعفوية بادلته شعوره، فتوقفت فجأة وتركها تلملم انفاسها، والعالم ما يزال يدور في رأسها حتى كادت تشعر انه سيغمى عليها.
قطب كايد حاجبيه وسار امامها مسرعاً وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة. وبعد لحظات ظهر ستان من وراء احد المنعطفات. وعندما وصل ثلاثتهم الى اعلى التلة وجدوا بات في انتظارهم. جلسوا جميعاً لتناول الطعام الخفيف الذي اعدته كاريسا، واستغرقوا بعد ذلك في تأمل المناظر الطبيعية الرائعة. وتركها الرجلان بعد قليل، للعودة الى مراقبة الطريق.
اسند كايد ظهره الى جذع شجرة يابسة، وشغلت كاريسا نفسها باعادة ترتيب اواني الطعام في الحقيبة الصغيرة، ثم جلست بعيداً عنه لتستمتع بجمال الطبيعة. تسللت نسمة هواء شقية الى شعرها فنثرته خصلات فوضوية تطايرت سعيدة بحريتها.
واستعادت العصافير حيويتها فأخذت تثرثر بمرح، غير عابئة بهمس الاغصان التي كانت تتمايل على ايقاع موسيقى خفية. ولمعت البحيرة عن بعد كبقعة فضية صغيرة، تنتظر المركب كي تحيا من جديد.
استسلمت كاريسا للسكينة المحيطة بها، واذابت حرارة الشمس كل الصقيع الذي كان يجمد داخلها في الأيام القليلة الماضية. ما اروع الهدوء! انه خير علاج للاعصاب المرهقة.

واعادها صوت كايد الى الواقع. همس بمودة وحنان:
- تعالي هنا.
لا. لن تذهب، لن تلبي النداء. ستتجاهله.
- كاريسا. تعالي.
لا سترغم نفسها على عدم التجاوب مع ندائه. ماذا يريد منها؟ لماذا لا يدعها وشأنها. يكفيها كل ما حدث حتى الآن. هل يظن انها رهن اشارته، وانها لا تستطيع مقاومته؟ تصرفت بجنون عندما بادلته عناقه. لكنها لم تستطع ان تقنع نفسها بان عليها ان تندم على ما فعلت. . لكنها ستكون بلهاء فعلاً لو رضيت بتكرار التجربة. كايد يريد ان يلهو قليلاً ليمضي بعض الوقت. بعد ايام سيخرج من حياتها مجدداً. وسينساها. تماماً كما فعل من قبل.
- كاريسا!
ناداها برجاء. ان تتجاهله مرة اخرى يعني تحدياً لرجولته. تنهدت وهي تنهض من مكانها قائلة:
- آن وقت الرحيل. سيقلق علينا بات وستان.
رفع يده اليها وجذبها بقوة نحوه. فسقطت على صدره.
- لا . ارجوك. لا.
ونظر اليها باستغراب، ومن ثم ذكرها قائلاً:
- لكنك لم تمانعي من قبل.
- هذا كان من قبل.
- غيرت رأيك اذن.
- نعم غيرت رأيي.
- سأجعلك تغيرينه مرة ثانية!
واشاحت بوجهها عنه، لكن بدون جدوى.
- توقف. ارجوك كايد توقف.
- ولماذا؟
- ارجوك!

لم تتمكن من الاجابة. كل ما تعرفه انها لا تريده ان ينتصر على ارادتها مرة اخرى.

اخذ يهمس لها كلمات رقيقة بالاسبانية. هذه الكلمات اعادت ذكريات تريد ان تمحوها من ذهنها.

لم تكن تعرف معنى الكلمات. كل ما تعرفه انها كلمات حب، وانها سمعتها قبل الآن. لم يكن يعنيها وقتها وهو لا يعنيها الآن. وبكل ما تبقى لها من قوة دفعته عنها، ووقفت تتحداه.

- قلت لك ابتعد عني. انا لا اريدك.

وقف هو الآخر واقترب منها.

- انت تكذبين يا كاريسا. انا اعرف النساء جيداً. انت تحبينني. حتى الرجل الأعمى يستطيع ان يرى ذلك... هذا اذا كان يعرف شيئاً عن النساء.

- وانت تعرف الكثير؟ لقد اقمت علاقات عابرة مع الكثيرات. اليس كذلك؟

- ماذا تعنين؟

سكتت كاريسا وابتعدت عنه وهي تتمنى لو لم تقل تلك الكلمات. لحق بها وارغمها على النظر اليه.

- هل تغارين لاني عرفت نساء اخريات في حياتي؟

وحاولت جاهدة ان تخفي حقيقة شعورها:

- لا تكن سخيفاً. الامر لا يعنيني من قريب او من بعيد. انت حر في حياتك. وحر في عدد النساء اللواتي تعرف. كل ما اريده هو ان تفهم باني لن اكون واحدة منهن.

- منذ عشر دقائق لم تمانعي.

واعترفت ببساطة:

- انت رجل جذاب. واعترف اني ضعفت امامك لحظة. لم اكن اقصد ذلك.

- هل هو موريس؟

- ماذا؟

انزل يديه عن كتفيها وقال:

- انت فتاة موريس اليس كذلك؟ كان عليه ان يصارحني بالحقيقة بدل اللف والدوران.

- وهل لف ودار في حديثه معك؟

- نعم. اخبرني بطريقة ما ان ابتعد عنك ولكنه لم يشرح لي السبب. الآن افهم قصده. بل لنقل اني فهمت ونحن في السيارة في طريقنا الى المنزل الريفي.

وردت كاريسا بهدوء:

- آه. فهمت.

لم تفهم شيئاً، انما من الأفضل ان تدّعي ذلك. لم تذكر انها قالت اي شيء يمكن ان يدل انها على علاقة بموريس، او انها اكثر من رب عمل وموظفة. لكن ان ظن كايد انها على علاقة، فمن الأفضل ان تدعه يصدق ذلك. ربما كانت هذه افضل طريقة للتخلص منه. لكنها لم تكن سعيدة في اعماقها لهذه الفكرة.

لم يشاهدا الحارسين الا عند اسفل التلة، في آخر الدرب المؤدي الى البحيرة. اقترب منهما ستان قائلاً:

- كل شيء على ما يرام. لا شيء مقلق حتى الآن.

شكره كايد وتوجها الى المنزل. صعدت كاريسا فوراً الى غرفتها لتأخذ حماماً دافئاً وتغير ثيابها.

ارتدت ثوباً قطنياً ناعماً تزينه تطاريز رقيقة عند الياقة والكمين. حررت خصلات شعرها من قيد المشابك، وسرحتها جيداً بالفرشاة حتى اخذت تلمع. ومن ثم نزلت الى المطبخ. لتعد طعام العشاء. ولم تكد تنتهي من مهمتها حتى لحق بها كايد. شعره الرطب دل على انه ايضاً اخذ حماماً دافئاً. كان يرتدي سروالاً داكناً وقميصاً قاتماً يناسب سمرته الجذابة.

وجلسا لتناول الطعام. دهشت كاريسا لاقبالها على الأكل رغم

كل ما مر بها. وكان من الواضح ان كايد ايضاً يستمتع بطعامه. وفور انتهائها ونهوضها عن المائدة عرض كايد ان يساعدها في غسل الصحون لانها تبدو متعبة من النزهة الطويلة. وعاد بعد فترة يدعوها الى نزهة قصيرة قرب البحيرة.

كانت الشمس تميل نحو الغروب. ترددت كاريسا قليلاً. لكن الحرارة الخانقة في المنزل شجعتها على الخروج للاستمتاع بالهواء النقي.

- حسناً. الفكرة جيدة. فلنذهب.

كانت الرمال باردة في المساء، ولم تكن هناك نسمة واحدة تعكّر هدوء هذه الامسية. سطح البحيرة كان ساكناً تلونه اشعة المغيب. امسك كايد يدها بقوة، وبعد محاولة اولى لسحبها، استسلمت كاريسا لقبضته، وارتاح هو لانها لم تكرر المحاولة.

- استمتعت كثيرا بالنزهة. انا لم اقم بمثلها منذ زمن طويل.
- لم تكن تستطيع ذلك قبل...
- قبل ان استعيد بصري. صحيح لم اكن اجد متعة في التعلق بذراع شخص آخر طيلة الوقت، ولم يكن باستطاعتي رؤية ما يبصر.
- لا بد ان العملية الجراحية غيرت حياتك كلها.
- طبعاً.
- اسفة كانت ملاحظة مزعجة...
- كفي عن الاعتذار.

وتوقف ليمسك كتفيها بشدة.

- ولم تكن الملاحظة مزعجة بل كانت حقيقة...

وارتعشت كاريسا للمسة يده فسألها:

- هل تشعرين بالبرد؟
- لا.

ابتعدت عنه قليلاً، فانزل يديه عنها، وتابعا المسير. سألته:

- هل وجدت العالم مختلفاً بعد الجراحة؟

- بعض الاشياء. نعم. هل تعرفين اني لا اقدم حفلات حية هذه الايام؟ هل تعرفين ذلك؟ او لنقل نادراً ما اظهر على المسرح.
- لماذا؟
- لأن الأمور اختلفت. الآن استطيع ان ارى جمهوري، من قبل كنت اشعر به فقط، افضل الاحساس بالحالة الأولى.
- لماذا؟ هل تشعر باضطراب لدى مواجهته؟
- لا. هذا احساس لا استطيع وصفه. كل السحر ذهب.

ورفع عينيه الى السماء ليحدّق في الاضواء الصغيرة التي بدأت تتراقص في القبة العالية، وتابع حديثه:

- انا اركز حالياً على التأليف وتسجيل الاسطوانات. ولذا استطيع ان ابقى هنا فترة معينة.
- لا بد انك سعيد باستعادة بصرك، خاصة في هذه الظروف... اعني المجرم الذي يلاحقك. لا بد انك كنت ستكره ضعفك امام عدو لا تستطيع رؤيته. اليس كذلك؟

ونظر اليها كايد بدون ان يقول شيئاً، لكنها لاحظت ابتسامة خفيفة تتراقص على زاويتي شفتيه فقالت:

- انت تفضل ان تذهب بنفسك للبحث عنه، عوضاً عن الجلوس هنا في امان. اليس كذلك؟
- نعم. هل يبدو ذلك على وجهي؟
- بوضوح. ماذا حدث في ملبورن؟ موريس قال انك هوجمت.
- ولم يصيبوا الهدف. ارسلوا رجلاً ليهاجمني بسكين... فانتهى في المستشفى.
- هم؟
- عصابة صغيرة.

الصدمة جمدتها في مكانها للحظات... واخيراً قالت:

- تقصد... مثل المافيا؟
- نعم لكن على نطاق اصغر.

- لكن لماذا؟ ماذا فعلت لهم؟
- لا شيء. هناك رجل يعتقد انه يحقد علي لسبب ما. والعصابة تريد اكتسابه الى صفوفها، والثمن الذي طلبه... هو القضاء علي.
- شيء لا يصدق.
- ما قلته مجرد تخمين. لكنني اعتقد ان هذا ما حدث فعلاً.
- هل كان لك حراس في ملبورن؟
- لا. لم اعتقد انه سيلحق بي الى هناك.
واضاف:
- رجال الشرطة في بلادي كانوا يملكون معلومات دقيقة عنه، ولذا اعتقدت انهم سيلقون القبض عليه قبل انتهاء جولتي الفنية.
- كيف انتهى الرجل الذي يحمل سكيناً في المستشفى؟
حتى في الظلام الدامس تستطيع ان ترى السعادة في ابتسامته.
- عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، كنت اركض في شوارع نيويورك مسلحاً بسكين. كنت عضواً في عصابة صغيرة. والعادات القديمة لا تموت بسرعة. كان يعتقد اني هدف سهل. ومغالاته في ثقته بنفسه اساءت اليه. كسرت فكه و...
وقاطعته كاريسا وهي تشعر بالاشمئزاز:
- يبدو انك استمتعت بذلك!
- التفت اليها غاضباً:
- لا. لم استمتع بذلك. لكني سعيد جداً لأني ما زلت على قيد الحياة، ولأنه لن يستطيع ايذاء احد لفترة طويلة. ربما لن يمسك سكيناً في يده مرة اخرى. هل تعتبرين هذا احساساً غير طبيعي؟ هل يجعلني هذا وحشاً في نظرك؟
- لا، لم اقصد... انا...
همست بخوف وهي تحاول ان ترى وجهه وعينيه. ولم تستطع ان تكمل اعتذارها لانه اسكتها وهو يقول:
- فليذهب موريس الى الجحيم

حاولت ان تقاومه... دون جدوى. وانقذها ضوء مفاجيء جعل كايد ينتفض. واقترب منهما ستان:
- اسف يا سيد فرانكلين. كنت اتفقد الجوار.
- يا الهي!
هتف كايد غاضباً فاجاب ستان بسرعة:
- رأيناك تخرج من المنزل، وعندما هبط الظلام ولم تعد، فكرنا انه من الافضل ان نتأكد من... اعتقد انك على ما يرام. آسف. ليلة سعيدة.
واختفى ظله في الظلام. وساد صمت عميق. حاولت كاريسا ان تبدو طبيعية وهي تقول:
- من الافضل ان نعود.
ومشيا بصمت. وفور دخولهما المنزل قالت:
- انا ذاهبة الى الفراش.
ناداها قائلاً:
- لو كان موريس يريد ان يتزوجك لوضع خاتماً حول اصبعك. انت تضعين خاتمي حول اصبعك!
وبعد لحظة صمت اجابت كاريسا:
- هذه مجرد تمثيلية.
- لماذا لا تبقين معي.
- لأني لست من النوع الذي يحب الوعود العابرة.
- ورفع حاجبيه وهو يبتسم بسخرية:
- لم التق حتى الآن بامرأة تعترف بانها كذلك. الرجال اصدق...
- مع انفسهم ربما، لا مع النساء.
- وماذا يعني هذا؟
- ان الرجال يدّعون الحب للوصول الى ما يريدون. يمنحون الوعود هكذا.

- وهل وعدتك انا بشيء؟ هل قلت لك اني احبك.
- لا.
- انا اريدك، الا يكفي هذا؟
- لا يكفيني انا!
- هل تفضلين ان اكذب عليك؟
- طبعاً لا. لكني لا اريد رجلاً بدون حب.
- انا لا اعرف كيف احب. لم اتعلم في حياتي معنى الحب.

وارتعشت كاريسا وهي تسأل:
- اي نوع من الحياة عشت؟
- حياتي علمتني ان العالم غابة يعيش فيها الاقوى. وانا عشت... رغم فقداني بصري عشت.
- بدون حب.
- الحب ليس ضرورياً.
- لا احد يستطيع ان يقول هذا!!
- انا اقول.

كان يتحداها. يا له من رجل اناني. لن تحركها كلماته. اجابته بلا مبالاة:
- اذن بالتأكيد انت لست بحاجة الي.
- قلت اني اريدك، ولم اقل اني بحاجة اليك، ولا بأني احبك.

وفجأة احتضنها بين ذراعيه وهو يهمس:
- تريدين الحب. علميني كيف احب يا كاريسا. علميني كل شيء عن الحب.

احست به يسخر منها، فراحت تقاومه بشراسة، مما جعله يرفعها بعنف بين ذراعيه ليصعد بها السلم الى غرفتها، واخذت تركله بقوة فاكتفى بالقول:
- كفي عن هذا سنقع معاً وربما كسرنا عنقينا. لن ادعك تفلتين مني هذه المرة.

واستكانت بين ذراعيه حتى وصلا قمة الدرج. وعندما دفع باب غرفتها بقدمه غرزت اظافرها في وجهه. احست بالرضى عندما رأته يحاول ان يداري المه. والقاها بعنف على سريرها. فأخذت تصرخ:
- لا تقترب مني. انا اكرهك.
- لا بد انك نسيت وعودك لي في سيدني.

وفجأة صمتت. المفاجأة اخذتها على حين غرة، فقالت بصوت خافت:
- سيدني؟
- نعم. منذ ثماني سنوات. لم تنسي يا كاريسا. ما من امرأة في الدنيا تنسى حبيبها الأول.

كادت تبكي. كانت متأكدة تماماً انه لم يتذكرها عندما قدمها اليه موريس.
- ما بك اختفى صوتك؟ اصبحت في غاية الهدوء فجأة.

همست بضعف:
- كنت اظن انك نسيت اسمي، وانك لم تعرفني.

قال بقسوة:
- انا لا انسى اشياء كهذه. حاولت دون جدوى. هل ظننت بانني نسيت اسمك؟ عندما تكلم موريس عنك كان يدعوك كاري. لكن عندما قدمك باسم كاريسا مارتن عرفتك فوراً. اسمك ليس عادياً. انت الفتاة الوحيدة التي عرفتها باسم كاريسا. ولحظة سمعت صوتك تأكدت من شخصيتك. انت فتاة اذكرها جيداً.

ولم تسمعه كاريسا يغادر الغرفة، لكن عندما انزلت يديها عن عينيها كان قد ذهب.

لم تتمكن من البكاء. وجرجرت نفسها خارج السرير لتغير ثيابها. ظل حلقها يؤلمها حتى استسلمت اخيراً للنوم في اولى ساعات الصباح.

٥ - لا اريد شفقتك

كان من الافضل لو بكت تلك الليلة، فربما خففت الدموع شيئاً من التوتر الذي يمزقها. بدأت تتجنب كايد بعد تلك الحادثة، وعرفت انه يتضايق من تصرفاتها. لم تفتها تلك النظرة الساخرة كلما تناولت كتاباً في الامسيات، لتجلس بعيداً عنه وتدّعي انها مستغرقة في القراءة.

ها قد مر اسبوع على وجودهما هنا، ولم يتلقيا بعد اي كلمة او اشارة من موريس. اما الحارسان فلم يلاحظا اي تحركات مشبوهة في المنطقة.

مساء الاحد جلست كاريسا كعادتها تقرأ، اما كايد فكان يحدق في النافذة وكأنه يرى شيئاً مهماً. فجأة قال لها:

- تعالي معي لنذهب في نزهة قصيرة.

قلبت الصفحة بهدوء واجابت:

- لا شكراً. اذهب بمفردك.

- اريد رفقتك.

رفعت عينيها اليه باصرار:

- اسفة لا ارغب بذلك.

ظنت للحظة انه لن يكرر الطلب، لكنه قال:

- فهمت من موريس انك هنا للترويح عني وتلبية كل رغباتي... طبعاً باستثناء رغبة واحدة.

وانتظرت عدة ثوان، قبل ان تضع كتابها جانباً وتنهض من مكانها:

- اسفة يا سيدي. اين ترغب بالذهاب؟

احست بغضبه وظنت انه لا بد سيغير رأيه هذه المرة، لكنه اجاب:

- الليلة باردة. انت بحاجة الى سترة صوفية.

صعدت الى غرفتها ونزلت بشال صوفي لفته حول كتفيها. اتى كايد بضوء صغير وخرجا تلفهما الظلمة.

لم يأخذ طريق البحيرة بل سبقها الى الدرب المؤدي الى التلة القريبة. وجلس كايد على جذع شجرة يابسة يتأمل الحياة الليلية والحيوانات الصغيرة التي لا تخرج من اوكارها الا عند حلول الظلام. وهمس كايد حالماً:

- يا لها من منطقة جميلة. انها مثالية للاطفال. اليس كذلك؟

- اعتقد ذلك؟

- هناك اماكن رائعة للاطفال في الولايات المتحدة ايضاً. لكنني لم اعرفها الا بعد فوات الأوان.

- فوات الأوان على ماذا؟

توقف قليلاً قبل ان يتابع حديثه:

- علي انا. نشأت في طرقات نيويورك... بل لنقل في الزواريب الخلفية منها. لا اريد هذه الحياة لاولادي.

- وهل تنوي الانسحاب؟

ظنت انه لن يجيب عن هذا السؤال. لكنه علق قائلاً:

- تعتقدين اني اضع العربة امام الحصان، اليس كذلك؟ الحب والزواج اولاً ثم الاطفال ثانياً..

وضحك بمرارة قبل ان يتابع حديثه:

- انت عاطفية وحالمة اليس كذلك؟ رفضت ارتداء خاتم والدي، لان الزواج مقدس بالنسبة لك. لا تقلقي الخاتم اشتراه خالك من سوق للاشياء المستعملة.

الغضب والألم جعلاها لا تنطق بكلمة واحدة، ولم يحاول هو قطع الصمت. وبعد دقائق:

- ما رأيك بالنزول الى البحيرة؟ وما رأيك بالسباحة في ضوء القمر.

- المياه باردة في هذه الساعة.

- انت خائفة من البرد ام مني؟

- طبعاً انا لست خائفة منك.

- اذن ربما كان عليك ان تخافي؟

- هل تريد ذلك؟

- ان اخيفك؟ لا. انت تعرفين جيداً ماذا اريد.

- لن تستطيع الحصول عليه!

- لن استطيع؟

- لن اكون رقماً على لائحتك. انت تعرف ذلك جيداً.

نهض من مكانه وعادا بصمت الى المنزل. وما ان فتحت الباب حتى قال لها:

- اريد ان اسبح. تعالي معي.

- ارجوك. لا ارغب بذلك.

- حسنا. تعالي معي فقط. اجلسي على الرمال. اني بحاجة لرفقتك. استسلمت لرغبته، وخرجا معاً الى البحيرة.

جلست على الرمال تتأمله وهو يسبح في المياه الفضية. كم هو وسيم!

تلاعبت نسمات الليل في شعرها، ورفعت طرف شالها، فأغمضت عينيها، واسندت رأسها الى ركبتيها. حاولت ان تغلق قلبها عن رنة الندم لانها لم تلحق به. لا. عليها الا تقع تحت الاغراء. ستندم. انها لعبة خطرة.

ولم تشعر بخروجه من المياه، الا عندما احست بنقطتين باردتين تسقطان على عنقها. رفعت وجهها اليه، ونهضت بسرعة:

- هيا يا كايد. الليلة باردة. انا تعبة اريد ان اتناول شيئاً ساخناً واذهب الى الفراش.

- حسناً هيا بنا.

وعلى بعد بضعة امتار من البيت امسك بها كايد فجأة. وارغمها على التوقف. نظرت اليه بتساؤل، ومن ثم التفتت الى مصدر انتباهه فرأت ظلاً قرب باب المنزل. واحست به يدفعها بقوة فسقطت ارضاً. وبعد لحظات سمعت صوت رجل يصرخ عالياً:

- انا بات يا سيد فرانكلين. لا تخشى شيئاً.

- يا لك من احمق! لو كنت احمل مسدساً لكنت قتلتك. ماذا كنت تفعل هناك؟

- اعتقدت اني سمعت صوتاً مريباً قرب السياج فجئت لاتحقق من الأمر. لم ار احداً. لكنني وجدت انه من الافضل ان اتحقق من المنزل. انت لم تغلق الباب بالمفتاح.

- المرة المقبلة سأفعل ذلك. انت تؤدي عملك جيداً... لكن اتمنى ان تعلمني عن وجودك مرة اخرى.

- لم اقصد اخافتك يا سيدي. اسف.

- حسناً. يمكنك ان تعود الى منزلك الآن؟

- افضل ان ابقى حول المنزل فترة . . . لمزيد من التأكد. لا تهتمي بي.

واختفى في الظلام. نهضت كاريسا، واخذت تسوي ثيابها وهي تشعر بألم في جانبها. جرحت ذراعها عندما دفعها كايد ارضاً. كان شالها ما يزال مرمياً على الارض، فانحنى كايد ليلتقطه، ثم وضعه حول كتفيها.

- هل انت بخير؟

- نعم.

امسك كايد بذراعها فابتعدت عنه بسرعة. غضب، امسك معصمها بقوة وشدها الى داخل المنزل. اضاء الانوار واقفل الباب جيداً وراءه.

- اسف. دفعتك ارضاً لاحميك من اي خطر مفاجىء.

تكلم بنبرة توحي بانه يحاول جاهداً التعبير بهدوء.

- اعرف.

- لماذا ابتعدت عني عندما لمست ذراعك؟

لم تجب. فنظر اليها بتساؤل، قبل ان يرفع الشال عن كتفيها، ويرى خطاً رفيعاً من الدم على ذراعها. سارعت الى القول:

- لا شيء. مجرد جرح بسيط. هذا كل شيء.

- دعيني اراه.

ولم ينتظر موافقتها ليقترب منها ويتفحص ذراعها. وعندما رآه يقطب حاجبيه قالت:

- لا تخشى شيئاً. عندما انظف الجرح لن يبدو بهذا السوء.

- انت شاحبة. هل تشعرين بألم في اي مكان اخر؟

- لا. مجرد رضوض بسيطة. ستختفي بسرعة.

- اصعدي الى الحمام، وعندما تنتهي ساهتم بتضميد الجرح

ودفع بها الى غرفتها. وعندما انهت من حمام المياه الساخنة، دخل الغرفة وهو يحمل صندوقاً من الاسعافات الأولية.

- اجلسي هنا.

جلست على حافة السرير كطفلة مطيعة. وفتح كايد زجاجة فيها سائل مطهر، اصفر اللون وقوي الرائحة. وضع كمية منه على قطعة من القطن الأبيض اخذ يمررها فوق ذراعها وهو يقول:

- اسف. لم اكن اقصد. حين اشعر بالخطر اتصرف بصورة عفوية

وضحك قبل ان يقول.

- حتى لو كان الخطر خيالياً

- اسامحك. كان من الممكن ان يكون الخطر حقيقياً. اين تعلمت ان تتفاعل مع الخطر بهذه الطريقة؟ في عصابة الشوارع التي اخبرتني عنها؟

- وقبل ذلك ايضاً. امضيت معظم طفولتي في اصلاحية. اعرف . . . ليس هذا ما كنت تقرأينه في الصحف.

كان يتكلم بمرارة فاجأتها.

- كان هذا الكلام الذي قيل عن اعالتي لامي المقعدة المسكينة، وشقيقتي الطفلة، كان من اختراع جاك. هل تذكرين جاك؟

هزت رأسها ايجاباً وهي تحاول ان تبدو في غاية الهدوء واللامبالاة:

- هل ما يزال معك؟

- لا استطيع التصرف بدونه. هو الذي صنع مني كادير فرناند.

وبنبرة ساخرة اضاف:

- لا ادري اين كنت ساصبح بدونه، ولا من اكون. احياناً اتساءل انا نفسي اين هي الحقيقة، واين هي [illegible] جاك.

وقاطعته برقة:

- لا. انت تعرف جيداً من انت . . . كنت دائماً تعرف

- وهل تعرفين انت من انا؟

واعترفت بألم:

- ظننت مرة بانني اعرفك. كنت صغيرة وقتها . . . وفي غاية

السذاجة. قلت لي ذلك، وكنت محقاً.
- كنت ايضاً في غاية الرقة.
وضع كايد قطعة القطن جانباً، وامسك ضمادة بلاستيكية الصقها بنعومة على ذراعها.
- سأجيئك الآن بالشراب الساخن الذي كنت تريدين.
وغادر الغرفة بسرعة قبل ان تشكره على اهتمامه، وعاد بعد قليل بكوب من الكاكاو الساخن.
- كاكاو. هل تحبينه؟
- نعم. شكراً لك يا كايد.
وامسكت بالفنجان ترتشف محتوياته ببطء. ولكي تقطع الصمت الذي خيم عليهما سألته:
- اما زالت والدتك على قيد الحياة؟
اجاب ببرود لا اثر فيه لاي انفعال:
- لا اعتقد. لو كانت على قيد الحياة لجاءت تبحث عني عندما عرفت من الصحف اني بدأت اكسب الكثير من المال.
ورفعت نظرها اليه فاضاف:
- صدمتك اليس كذلك؟ لم ارها... اعني امي... بل لعل انها لم ترني منذ فقدت نظري في معركة عصابات في الشارع.
- معركة؟ قرأت...
- احدى قصص جاك لا ريب. تلك القصة التي تقول اني فقدت بصري وانا انقذ صديقي من تحت عجلات شاحنة؟ لم اكن ابداً رقيق الاحساس.
- ولا حتى مع عائلتك؟
- اي عائلة؟ انا لم اعرف والدي، ولا اعرف ان كانت امي تعرف من هو. كان هناك الكثير من «الأعمام» في طفولتي، والقليل من الحب. كانت امي امرأة انانية... اما شقيقتي فهربت من المنزل وهي في الثالثة عشرة من عمرها. لا اعرف اين هي الآن. غادرت

امي المدينة عندما كنت في المستشفى ونسيت ان تترك عنوانها. كل ممتلكاتي في الدنيا كانت غيتاراً وتصميماً على الخروج من النفق الذي ولدت فيه. سمعني جاك اعزف الغيتار، فأعجبته وقرر مساعدتي لسبب ما.
واحست كاريسا ان كايد يشك حتى في دوافع جاك. ليس غريباً اذن انه لم يتعلم في حياته كيف يحب
ومرر كايد يده في خصلات شعرها، وللمرة الأولى احست انه يلمسها بحنان وليس برغبة. وفجأة ابتعد عنها بسرعة وهو يقول بغضب:
- لا. لن اقبل شفقتك.
- ماذا تعني؟ اي شفقة؟
- لم تحاولي هذه المرة الابتعاد عني. تشفقين على هذا اليتيم المسكين الذي قست عليه الحياة. انا رجل قوي الآن ولا احتاج لشفقتك، ولا الى عاطفة الامومة لديك.
وغادر الغرفة غاضباً.
مساء اليوم التالي اتصل بها موريس. رفعت كاريسا السماعة فحدثها:
- كيف شهر العسل. هل كل شيء على ما يرام؟
صوته المألوف جعلها تسأله بأمل:
- لماذا لا تأتي لقضاء بعض الوقت هنا؟
وجوده سيخفف من حدة التوتر المسيطر على الأجواء.
- آسف لا استطيع. علي ان انجز الكثير من الأعمال. مساعدتي تركتني لقضاء شهر العسل مع عريس وسيم.
ولم تستطع كاريسا ان تشاركه ضحكه فقاطعته بحدة:
- هل هناك اي اخبار جديدة؟
- لهذا اتصلت بك. قولي لزوجك ان احد الطيور سيدخل القفص قريباً. لكن الطير الصغير تمكن من الهروب.

وابتسمت لطريقته الدرامية في شرح الأمور. كان من غير المحتمل ان يكون الهاتف مراقباً، واحست ان موريس يستمتع فعلاً بكل الغموض والاثارة في هذه الدراما السرية.

- ساخبره بالأمر.

قالت وهي ترى كايد يقترب منها:

- راقبي الطيور حولك. قد تكتشفين فئات نادرة منها في الجوار.

- حسناً سنفعل ذلك.

واتسعت ابتسامتها رغم انها كانت تعرف جداً خطورة ما يعنيه موريس. وفجأة لاحظت نبرة امريكية في صوت موريس ذكرتها بأحد الممثلين التلفزيونيين في حلقة بوليسية يدمن مديرها على مشاهدتها.

واقترب كايد من الهاتف ليسمع صوت موريس. وكان هذا الاخير قد عاد الى لهجته الطبيعية ليقول:

- آمل الا تستمر هذه القضية طويلاً. اني افتقدك.

وابتسمت وهي تتخيله يدير اعماله بدون مساعدتها. ولاحظت كاريسا تغيراً ملموساً على وجه كايد فعرفت انه يستطيع سماع كلمات موريس. فأضافت:

- وانا ايضاً افتقدك يا موريس. هل تريد التحدث الى كايد، انه بجانبي.

- لا اخبريه بما حدث. تصبحين على خير يا كاري.

- تصبح على خير...

وانتظرت ان يقفل موريس الخط لتضيف:

- يا حبيبي.

التفت الى كايد بعد ان اعادت السماعة الى مكانها وقالت:

- كان هذا موريس.

- اعرف. يبدو هذا واضحاً على وجهك.

- طلب مني أن اخبرك بأن احد الطيور سيدخل القفص قريباً،

وبأن الطير الصغير تمكن من الهرب. هل يعني لك هذا شيئاً؟

لم يجبها فوراً فالتفتت اليه لتراه مقطب الحاجبين.

- نعم.. يعني الكثير. يبدو ان رجال الشرطة يتوقعون القبض على رئيس العصابة قريباً. لكن غوميز تمكن من الافلات.

- غوميز؟ من هو؟

- الرجل الذي يريد قتلي!

- فهمت من موريس ان الرجل قد يكون في الجوار.

- اي شيء اخر؟

- لا. لا شيء لك. ما تبقى يخصني وحدي.

علاقتها الوهمية بموريس كانت وسيلتها الوحيدة للدفاع عن نفسها.

اقترب منها كايد واخذ يهزها بعنف:

- لو كان موريس يحبك لما ارسلك الى هنا للترويح عني. لا يهمه امرك. هو يحرص فقط على مصالحه المادية. يريد اسعادي لانه يأمل بجني الآلاف من الجولة الفنية التي سأقوم بها لصالحه. في اي حال لا اعتقد انها المرة الاولى التي يرسلك فيها للترويح عن ضيوفه... بمختلف الوسائل.

- ماذا تقصد؟

- اقصد انك تفعلين اي شيء لارضاء موريس وخدمة مصالحه.

وفهمت اخيراً. للحظة تسمرت في مكانها ثم هجمت عليه بضراوة، واخذت تضربه على صدره بيديها الصغيرتين:

- كيف تجرؤ... كيف تجرؤ...

حاول ان يبعدها عنه فقاومته بشراسة وكأنها تريد ان تضربه بكل قطعة من جسمها. امسك بها بشدة حتى تعبت اخيراً من الصراع. هدأت فجأة، وانهمرت الدموع من عينيها.

- ارى اني اخطأت. اسف يا كاريسا.

هربت كاريسا الى غرفتها، استلقت على فراشها واخذت تشهق

عالياً. انه لا يستحق دموعها... فلتكف عن البكاء... انه لا يستحق دموعها... لا لن يتغلب عليها. لم تعد تلك المراهقة التي استغل براءتها... الدموع لا تجدي... انه لا يستحق دموعها...

٦ - هل تريدين موتي؟

صباح اليوم التالي ذهبت كاريسا الى القرية المجاورة للتسوق. نفد مخزون الخبز والبيض من الثلاجة. لكن ليس هذا السبب الحقيقي وراء ابتعادها عن المنزل. انها بحاجة الى استجماع قوتها وعواطفها بعيداً عن كايد.

توقفت قليلاً عند بائع الصحف واختارت مجموعة من المجلات الخفيفة التي لا تحتاج الى تركيز وجهد. ولفت نظرها في واجهة احد المحلات مجموعة من الاشغال اليدوية فدخلت لتختار لوحة جميلة تطرزها في السهرات الطويلة. العمل اليدوي سيبعد تفكيرها عن كايد وعن التوتر السائد بينهما. انها تشعر بحاجة ماسة لأن تشغل نفسها فلا تغرق في دوامة القلق التي تشل عقلها.

حملت كاريسا مشترياتها وهمت بالخروج من الدكان. لاحظت فجأة الرجل الواقف على الباب الخارجي والذي كان يحدق فيها باهتمام بالغ. حاولت ان تتجاهله لكنه لم يتحرك من مكانه عندما وصلت الى باب الخروج. تسمرت امامه لحظات وهي لا تدري ماذا ستفعل! كان يقف في طريقها. ماذا يريد منها؟

اعتذر منها مبتسماً وافسح لها الطريق لتخرج من الدكان. للحظة احست بالقلق. ما بها؟ ليست هذه المرة الأولى التي يعترض طريقها رجل. انها معتادة على نظرات الاعجاب. لا بد ان الظروف الصعبة التي تمر بها، تجعلها ترى الخطر في كل شيء.

ورغم ذلك ظلت تحدق في المرآة الخلفية وهي تقود سيارتها الى المنزل لتتأكد تماماً ان احداً لم يلحق بها.

مساء اليوم ذاته جلست كاريسا في غرفة الجلوس وبدأت العمل على اللوحة. اخذ كايد يلاحق حركات يديها بسخرية لاذعة. ولم يتمالك نفسه من التعليق قائلاً:

- كم تبدين اليفة وهادئة. ما هذا الذي تعملين؟ هدية لي؟

- لا.

وبعد لحظات عاد لينظر الى اللوحة من فوق كتفها:

- جميلة جداً. هل ستهديها الى موريس؟ سيعلقها في غرفة نومه قرب تحفه الاخرى.

- ربما.

ومرت الامسية هكذا: كايد يطلق تعليقات ساخرة تحمل بين سطورها معان خفية، وكاريسا تجيب بكلمات مقتضبة. نادراً ما كانت تنظر اليه لكنها كانت تشعر تماماً بتوتره الزائد، وبالخطوط العميقة حول فمه، والحدة في صوته، والسخرية في عينيه.

تابعت عملها بصمت، لكن وجود كايد قربها شل سرعة اصابعها. وفجأة ابتعد عنها ليجلس الى البيانو في الزاوية المقابلة. بدأ بعزف قطعة صاخبة لم تكن قد سمعتها من قبل. لا بد انه

يحاول التخفيف من عصبيته وغضبه، لكن الموسيقى لم تكن كافية لذلك. ضرب بيديه على مفاتيح البيانو ووقف بحدة ليقول:

- سأخرج قليلاً.

سألته ببرود:

- هل تريد ان ارافقك؟

- افعلي كما يحلو لك.

- ان كنت لا تمانع، افضل البقاء هنا.

- حسناً. كما تريدين.

حدته جعلتها تبتسم. لكنها تمالكت نفسها وهي تقول:

- لا تنسى ان تعلم الحارسين بوجهتك.

توقف لحظة، قبل ان يقول بوحشية:

- لن اخبر احداً. اريد ان اكون بمفردي. هذه حياتي وانا حر فيها. وأغلق الباب وراءه بشدة.

انتظرت كاريسا بضع دقائق حتى تتأكد من ذهابه، وامسكت الهاتف. وعندما رفع بات السماعة قالت له بسرعة:

- السيد فرانكلين خرج منذ دقائق. قال انه لا يرغب برفقة احد.

- سأراقبه بدون ان يشعر بوجودي.

وحذرته كاريسا قائلة:

- انه عصبي المزاج!

ضحك بات عالياً:

- شكراً للتحذير. لا تقلقي. لن يشعر بوجودي.

شكرته واقفلت الخط. سيغضب كايد عندما يعرف انها اتصلت بالحارسين. فليغضب اذن. مهمتها هنا ان تتأكد من سلامته. واحست بالقلق وهي تتخيله يسير وحيداً في الظلام.

وعندما عاد كايد الى المنزل كانت كاريسا قد آوت الى فراشها. سمعت مفتاحه في الباب، ووقع قدميه على الدرج فاطفأت النور ونامت.

صباح اليوم التالي كان كايد في منتهى العصبية. اصر على الذهاب الى الينابيع الدافئة القريبة للاستحمام، وفشل الحارسان وكاريسا في اقناعه بعدم الابتعاد عن المنزل. اخذ يصرخ قائلاً انه لا يطلب منهم السماح له بممارسة هواياته، بل يخبرهم فقط بوجهته. سيذهب حيث يريد ولن يقف احد في طريقه. فاضطرت كاريسا الى مرافقته، ومعهما الحارسين.

مياه الينابيع كانت عذبة ودافئة. تركت كاريسا نفسها على سجيتها واخذت تسبح بتكاسل وبطء. ثم استلقت على ظهرها واستسلمت للمياه، فطفى جسمها على السطح ورفعت وجهها الى السماء الزرقاء. ولم يدعها كايد تستمتع طويلاً بحريتها. اقترب منها ليحيط خصرها بذراعه ويشدها الى حافة الينبوع، حيث ارغمها على الوقوف في المياه التي كانت تصل الى خصرها فقط. سجنها بين ذراعيه مبتسماً، تألقت عيناه ببريق جذاب. تذكرت كاريسا فجأة النظارتين السوداوين، والعينين اللتين لم تعرفا الحياة، ولا النور الذي يضيئهما الآن. وانتابها حنان غامر.

وشعر كايد بالتحول الذي طرأ على تعابيرها، فنظر اليها مستفسراً. اشاحت بوجهها لتهرب من السؤال، لكنه ارغمها بلطف على النظر اليه مجدداً.

- ما بك؟

- لا شيء... انا سعيدة لانك استعدت بصرك.

حدق فيها باستغراب قبل ان ينظر اليها بحنان قائلاً:

- انا ايضاً.

مر بات قربهما وهو يسبح بسرعة، فابتسمت له كاريسا. التفت كايد لحظة فاستغلت الفرصة لتهرب بعيداً عنه... رغم انها لم تكن تريد ان تبتعد عنه ابداً. تمنت لو يسجنها معه الى الابد، فلا يدعها تغيب عنه لحظة واحدة. تمنت... كل ما يمكن ان تتمناه امرأة عاشقة.

- لا. لست مجنونة الى هذا الحد. هل احبه حقاً؟

خرجت من المياه وهي تلعن احاسيسها فكادت تصطدم بشخص ما وقف امامها. رفعت بصرها اليه فرأت الرجل الذي التقت به في الدكان يوم الأمس.

حياها بلكنة اميركية مميزة:

- اهلاً. ها نحن نلتقي مجدداً.

ابتسمت واكملت طريقها وهي مشغولة بأحاسيسها عن الاهتمام بأي تفاصيل اخرى.

وعندما انتهت كاريسا من ارتداء ملابسها وتمشيط شعرها كان كايد بانتظارها. فعادا معاً الى المنزل.

ومرت الأيام بطيئة قاتلة. مزاج كايد لم يتحسن بل ازداد سوءاً. كان يمضي معظم اوقاته في الشرفة يحدق بعيداً. لم يعد يحاول الاقتراب منها، ولم يكن يوجه لها اية كلمة الا عند الضرورة. الملل تمكن منه، وضاق بأسره.

وظنت كاريسا انها سترتاح لأن كايد صرف النظر عنها ولم يعد يضايقها بسخريته اللاذعة، لكنها احست بانقباض للجو المشحون المتوتر. ولم تعد تطيق الجلوس في المنزل فخرجت لتسبح في البحيرة القريبة، علها تستعيد هدوءها.

احتوتها المياه الباردة، واخذت تسبح وكأنها تصارع شخصاً وهمياً. وعندما تعبت من الحركة المتواصلة قررت القيام بنزهة قصيرة قبل العودة الى المنزل. رأت سرباً من الببغاوات على اغصان قريبة، فأفرحها المشهد. سارت بهدوء لتقترب من الطيور الملونة اللاهية عنها بحديث مرح.

وكادت تتعثر بالقارب الصغير حتى قبل ان تراه. الظاهر ان صاحبه يخشى عليه من السرقة، والا لماذا اخفاه تحت الاشجار ووضع فوقه كل هذه الاغصان الخضراء؟

تسمرت في مكانها تحملق في المركب. واخذ قلبها يخفق بسرعة.

لا بد من وجود سر ما وراء هذا الامر! سرية المكان الذي وجدت فيه المركب والطريقة التي اخفي بها عن الانظار تدلان على سوء نية. ارتعشت رغماً عنها، وعندما رأت الرجل يظهر من بين الاشجار قفزت فزعاً.

- آسف. هل اخفتك؟

انه الرجل الذي التقت به في المحل، وقرب الينابيع الدافئة. سيطرت على رغبتها بالهروب منه وسألته بشيء من الخوف:

- ماذا تفعل هنا؟ نعم اخفتني.

اشار الى النظارة المقربة التي تدلت على صدره وقال:

- اراقب الطيور. وانت تفعلين الشيء ذاته اليس كذلك؟

لم تجبه فابتسم وتابع حديثه:

- من الممتع حقاً مراقبة الطيور، خاصة هذه الببغاوات الملونة. اليس كذلك؟

- نعم. هل هذا مركبك؟

- نعم. لماذا تسألين؟

- استغربت حرصك الشديد على اخفائه بهذه الطريقة.

- لم ارد اخافة الطيور. لو نظرت ملياً لوجدت انني بنيت ملجأ مؤقتاً استطيع الاستلقاء تحته بدون ان تشعر الطيور بوجودي.

نظرت كاريسا الى المركب مجدداً، فلاحظت فعلاً ان الاغصان وضعت على شكل خيمة، من السهل ان يزحف المرء تحتها ليراقب الحياة البرية بدون ان تشعر الطيور بوجوده. ولم تتمالك كاريسا نفسها من القول:

- آسفة. هذه املاك خاصة. لا يحق لك البقاء هنا.

- آسف. لم اكن اعلم. انت وزوجك... تملكان الارض.

- لا بل هي لصديق لنا. لا نستطيع ان نسمح لاي كان بالتنزه هنا. آسفة.

- لا تعتذري. افهم موقفك. علي بالذهاب الآن.

وتساءلت كاريسا كيف تمكن الرجل من البقاء هنا، بدون ان يشعر الحارسان بوجوده. فسألته:

- منذ متى انت هنا؟

- جئت في الساعات الأولى من الصباح. انه التوقيت الامثل لمراقبة الطيور.

كان الظلام مخيماً على المنطقة فنصبت خيمتي وانتظرت.

- يبدو انك انسان صبور.

- نعم جداً. سأذهب الآن.

وانحنت كاريسا لتساعده على نزع الاغصان، فرأت على ارض المركب كيساً طويلاً احكم صاحبه اغلاقه.

قالت بحدة:

- ما هذا؟

- قاعدة ثلاثية لآلة التصوير.

- آه. اسفة.

ولفت انتباهها حقيبة مربعة كالتي يستعملها هواة التصوير فاطمأن قلبها. وعندما تأكدت من ذهاب الرجل اسرعت كاريسا الخطى في اتجاه المنزل، فالتقت بستان الذي اشار لها بالتوقف.

- من هو صديقك؟

- ليس صديقي، بل رجل افلت منكما ليلة امس. لا تخف. انه من هواة مراقبة الطيور.

- هل انت متأكدة من ذلك.

- لا ادري، اعتقد ذلك. شخصيته توحي بالاطمئنان. جاء في الساعات الأولى من الفجر.

- لكننا نقوم بدوريات منتظمة معظم ساعات الليل.

- لا بد انه تسلل بين دوريتين.

- ربما. لست مرتاحاً للأمر. اتمنى لو لم يكن السيد فرانكلين بمثل هذه الاستقلالية.

ابتسمت كاريسا. شعرت انه كان يريد ان يستعمل تعبيراً اقسى، لكنه امتنع عن ذلك في اللحظة الأخيرة. وحاولت ان تبرر تصرف كايد قائلة:

- لا يستطيع ان يتحمل السجن.

وتركته لتتابع طريقها الى المنزل. رأت كايد ينتظرها في الحديقة وهو يحمل نظارة مقربة. سألها بحدة:

- اين كنت؟
- في البحيرة... اسبح.
- خرجت من المياه منذ عشرين دقيقة. اين كنت؟
- كنت اراقب بعض الطيور و...

وتوقفت عندما رأت نظرة الشك في عينيه. وقررت ان لا تكمل حديثها.

- هل علي ان اقدم لك تقريراً بكل حركة اقوم بها؟

ودخلت المنزل غاضبة. توقعت ان يلحق بها لكنه لم يفعل. ستان سيخبره عن الاميركي، لن تنطق هي بأي كلمة.

صباح اليوم التالي رفضت كاريسا مرافقة كايد لممارسة رياضة التجديف، وجلست في الشرفة تراقب كايد يخرج القارب الصغير من المخزن الخاص به، ورأته يبتعد الى وسط البحيرة. واسترخت في مقعدها عندما شاهدت قارب الحارسين يلحق به، ويقف على بعد امتار منه.

كان هناك العديد من المراكب فوق سطح المياه. وتابعت كاريسا باهتمام حركات الرجل الذي كان يتزلج بمهارة وراء مركب سريع. كم يشعر كايد بالعجز الآن. تعلم جيداً انه كان يتمنى لو يستطيع الانطلاق بهذه السرعة ليتمتع بلذة التحدي.

ويبدو ان ظنون كاريسا كانت في محلها. لم يستطع كايد البقاء متفرجاً وسط البحيرة فادار مركبه باتجاه الشاطىء ليعود ببطء. وعندما رأت كاريسا خيط المياه الذي ارتفع امام القارب الصغير،

ظنت اولاً ان سمكة ما قفزت فوق السطح تاركة وراءها هذا العقد الفضي البراق، ومن ثم سجل سمعها صوت الرصاصة... ما رأته كان طلقة بندقية. قفزت بسرعة واخذت تركض بجنون باتجاه الشاطىء. سمعت طلقة ثانية، ورأت كايد يسقط في المياه. صرخت:

- لا... لا... كايد... كايد... لا.

وظلت تركض حتى غاصت قدماها في مياه البحيرة. تسمرت مكانها وهي تبكي خوفاً وقلقاً، وتحاول ان ترى ماذا يحدث هناك... وسط البحيرة.

انطلق مركب الحارسين وراء زورق اخضر سريع ظهر فجأة من وراء ستار الاشجار. وتنفست كاريسا الصعداء وهي ترى كايد يسبح باتجاه مركبه. كانت ما تزال على الشاطىء عندما عاد الحارسان برفقة كايد. جففت دموعها وحاولت ان تسيطر على انفعالاتها وهي تسمع بات يقول:

- لم نستطع اللحاق به. لا احد يعرف من اين اتى الزورق السريع. ورجال الشرطة يهتمون بالأمر الآن. هناك العديد من الشهود. لكني لا اعتقد شخصياً ان الشرطة ستتمكن من القبض عليه. سيغادر البلاد فوراً.

اجابت بخوف:

- لكنه يعرف مكان كايد الآن.

قاطعها ستان قائلاً:

- سنمضي الليل معكما في المنزل. دقائق عشر وسنكون معكما. لا يمكن ان يعود في هذه الفترة القصيرة.

وذهب الحارسان لحزم حقائبهما. وللمرة الأولى استرقت كاريسا النظر الى وجه كايد، فرأت ابتسامة ساخرة تتراقص على شفتيه وبريق مرح يلمع في عينيه. فكرت بالألم الذي كان يمزقها وهي تركض مولولة باتجاه الشاطىء، والخوف الرهيب من ان يكون اصيب،

والانتظار الطويل لعودته. . . كل هذه الاحاسيس، وهو واضح الاستمتاع بما يحدث. اخذت نفساً طويلاً وصرخت:

- اللعنة عليك يا كايد.

وهربت منه الى المنزل.

عندما عاد الحارسان الى المنزل كان المكان اشبه بقلعة محاصرة. زمجر بات قائلاً:

- انت رجل عنيد يا سيد فرانكلين. قلت لك من البداية انه من الافضل ان نعيش معكما في المنزل. انا سعيد لأنك غيرت رأيك اخيراً.

- لم اعد ارى جدوى من الادعاء باننا نمضي شهر العسل هنا.

وتجنب كايد النظر الى كاريسا التي تغلي غضباً. لم تكن فكرة موريس اذن، ولا حتى فكرة الحارسين. هو الذي اصر على هذه التمثيلية السخيفة.

وصل الفوج الأول من رجال الشرطة بسرعة غير متوقعة. استخدموا الطائرات المروحية في سباق مع الوقت. ولاحظت كاريسا ان المفتش، الذي بدأ فوراً في طرح الاسئلة، يعرف الكثير عن خلفيات القضية. وبدأ تحقيقه قائلاً:

- هل لاحظتم اي وجود مشبوه في الايام القليلة الماضية؟

- التفت بات الى كاريسا:

- هل تذكرين مراقب الطيور؟

تدخل كايد برقة:

- اي مراقب طيور؟

- الم تخبرك كاريسا بما حدث؟

احست كاريسا بتصلب كايد، وبنظرته الخارقة على وجهها. وعاد يكرر بقسوة:

- اي مراقب طيور؟

خافت كاريسا من حدته. اشاحت بوجهها عنه وراحت تروي

للمفتش تفاصيل لقائها بالاميركي الذي ادعى انه يهوى مراقبة الطيور. وتعثرت في كلامها مرة او مرتين وهي تشعر بقسوة وبرود عيني كايد وهو يحدق بها.

وبعد ذهاب المفتش اعدت كاريسا العشاء وهي سعيدة لوجود بات وستان، لأنها كانت قلقة من الطريقة التي يراقبها بها كايد.

بعد منتصف الليل بقليل استأذنت من الجميع، وهمت بالصعود الى غرفتها. لحق بها كايد فتجاهلت وجوده وراءها.

- غرفتك ام غرفتي؟

- ماذا؟

- سمعت جيداً ما قلت.

- لم افهم.

- بل فهمت جيداً.

- ماذا تريد؟

- ان تمسكي بيدي كي لا اخاف في عتمة الليل.

- لا تسخر مني. انت تستمتع بكل لحظة مما يحدث.

- وانت ايضاً. اليس كذلك؟

- لا!

- لماذا. الم تسر الأمور كما كنت ترغبين؟

- كلا.

- لا تقلقي. قد يكون حظك افضل في المرة المقبلة. لكن لا تظني يا عزيزتي المخادعة، اني سأسلمك رأسي على طبق من فضة. لن تبتعدي عن نظري قبل ان يصبح غوميز وراء القضبان.

وللحظة تسمرت في مكانها. وعندما بدأت تفهم مغزى كلماته صرخت باحتجاج:

- يا الهي. . . كايد. . . ماذا تقصد؟

- تعجبني نظرة البراءة في عينيك. انت ممثلة رائعة. لكن فات الأوان. اخطأت بعد ظهر اليوم عندما عجزت عن اخفاء الملك فور

معرفتك بأن صديقك اخطأ الهدف.

الصدمة كانت اكبر من طاقتها على التحمل. شعرت بالجدران تنطبق عليها، فاغلقت عينيها وكادت تقع ارضاً. ادخلها كايد الى غرفته واغلق الباب وراءها.

- كايد ارجوك. هذا جنون مطلق. انت مخطىء.

- حقاً! امامك الليلة كلها لاقناعي بذلك. سأبقيك هنا امامي. لن اخاطر مرة ثانية.

- لكن كايد... كيف كان باستطاعتي الاتصال بغوميز. كنت معك معظم الوقت.

- لا ادري. لكنني اعرف انك تحدثت معه قبل ايام قرب الينابيع الدافئة... واعرف انك كنت تأملين بأنني لن اكتشف اللقاء الذي تم بينكما بالامس. اين دبرتما ما حدث... قرب الينابيع؟

- لم ادبر شيئاً. هل كان غوميز؟ الم تتعرف عليه عندما رأيته قرب الينابيع؟ لماذا لم تقل شيئاً؟

- لم اكن اعرف وقتها من هو. لم اكن متأكداً حتى رأيته في الزورق اليوم. لم تكن مصادفة انك رفضت مرافقتي اليوم.

- قل لي قصدك بالتحديد.

- بطريقة ما اتصلت بغوميز... او اتصل هو بك. ودبرتما كل شيء خلال احدى جولاتك الى القرية بحجة التسوق.

وتذكرت كاريسا الرجل الذي كان يحدق فيها في المحل التجاري، حتى كاد ينسى انه يقف في طريقها ورغماً عنها احمرت وجنتاها خجلاً. ضحك كايد بقسوة وهو يعلق قائلاً:

- كنت مخطئاً. لا. لست ممثلة بارعة. نسيت يا عزيزتي انها المرة الأولى التي نجحت فيها بخداعي... كنت اعمى.

دفاعها جاء يائساً:

- لا. انت مخطىء تماماً. في اي حال ما هو برأيك السبب الذي يجعلني اساعده؟ هل تعتقد اني ارغب برؤيتك قتيلاً؟

- لماذا لم تخبريني اذن عن لقائك القصير بمراقب الطيور؟ لماذا صرخت، اللعنة عليك، عندما رأيتني اصل سليماً معافى الى الشاطىء؟ لماذا لم تخبري المفتش انك التقيت الرجل الذي اطلق علي الرصاص اكثر من مرة.

- لم اكن اعتقد ان كل هذه التفاصيل بهذه الاهمية.

واضافت باستسلام:

- كايد لا يمكنك ان تصدق كل هذا! اي سبب معقول يدفعني لتدبير موتك؟

- هذا ما انوي معرفته.

اقترب منها فابتعدت عنه لا شعورياً. تراجعت حتى اسندت ظهرها الى الحائط. اقترب منها اكثر ووقف يحدق في وجهها. لم يلمسها، لكن الغضب البارد في عينيه جعلها ترتجف خوفاً.

- هل كان المال هو السبب؟ ام انك تريدين الانتقام مني؟ هل تكرهينني، يا كاريسا، لدرجة تتمنين معها موتي؟

- لا. انا لا اكرهك.

- حقاً! هل تريدين اثبات ذلك؟

وانقض عليها بقسوة فقاومته بعنف:

- لا. ارجوك كايد. لا. ارجوك دعني.

ابتعد عنها ساخراً:

- طبعاً لا تستطيعين تحمل ذلك؟ اقصد ان يعانقك الرجل الذي كنت تقصدين قتله.

- لم اكن ادبر شيئاً. الحقيقة اني لا استطيع ان اتحمل عناق رجل يعتقد انني كنت اريد القضاء عليه.

لم يجبها. وظنت للحظة انه ربما بدأ يؤمن ببراءتها. لكنه ابتعد عنها وجلس على المقعد المجاور للنافذة:

- سأترك السرير لك. اما انا فسأجلس هنا.

ترددت قليلاً، واستلقت على السرير. لدقائق اخذت تحملق في

السقف. ثم قالت:

- ان كنت تعتقد فعلاً بأنني دبرت عملية قتلك، لماذا لم تخبر رجال الشرطة؟

- لي اسبابي الخاصة. في اي حال انا لا املك الادلة الكافية بعد.

اجابت بمرارة:

- اصدرت حكمك علي بدون براهين كافية!

- لم اصدر حكمي عليك بعد. اتخذت فقط الاحتياطات اللازمة استناداً على شكوكي.

- انها قضية آراء.

- بل قضية حياة او موت... حياتي انا، وموتي انا.

- لماذا يريد غوميز قتلك؟

وعندما لم يجب قالت غاضبة:

- الامر يتعلق بامرأة اليس كذلك؟ يريد قتلك بسبب امرأة.

- طبعاً الم يخبرك بذلك؟

- يخبرني بماذا؟

- غررت بزوجته... قبل ان اقتلها.

٧- دموع تفتح الجراح

احست بقشعريرة تجمّد اطرافها وهي تحدّق في عينيه علّها تقرأ الحقيقة الخافية وراء المرارة الاليمة التي يتقلّص تحتها وجهه. واخيراً همست بتردد:

- هل تعترف اذن بما فعلت؟

- يا الهي. طبعاً لا. علّمتني الحياة ان لا اعترف بأي شيء.

- لا اصدقك! لم أصدق كلمة واحدة مما قلت!

وللحظة اعتقدت أنها رات لمحة استغراب في عينيه. لكنه قال ساخراً:

- هذا لطف منك. وفي المقابل تريدين ان اؤكد لك انني اصدق انك لا تعرفين غوميز اليس كذلك؟ آسف يا عزيزتي، ما زلت لا

اصدقك.

انتفضت من مكانها، ووقفت تتحداه بعنف:

- انت لا تستطيع ان تثق بأي كان. اليس كذلك؟ نفسيتك المعقدة المريضة تجعلك لا تؤمن بأي نوع من الصدق والاخلاص. كم اشعر بالأسى من اجلك يا كايد! لديك الموهبة والمال والنجاح لكنك تفتقد أهم ما في الحياة، اي الصداقة والحب والثقة. هذه الاشياء المهمة لن تحصل عليها ابداً، لانك غير قادر على ذلك. أنت تلوّث كل المشاعر الصادقة. لن تعرف في حياتك معنى العلاقة الحقيقية بين رجل وامرأة، لأنك عاجز عن اعطاء اي امرأة ما تريده فعلا!

وعرفت كاريسا انها بالغت في هجومها حتى قبل ان يقترب منها ليهزها بعنف.

- ارجوك كايد دعني. انت تؤلمني.

ابتعد عنها فجأة، وعاد ليقف قرب النافذة. وأحست انه يحاول جاهداً السيطرة على اعصابه، فلم تنبس بكلمة واحدة، وظلّت في مكانها تنتظر بقلق رد فعله التالي، وبعد دقائق، مرّت وكأنها ساعات، سألها ببرود:

- اتبكين؟

- لا.

لم تكن تستطيع حتى البكاء.

- حسناً لا بد أنك متعبة حاولي النوم.

ولدهشتها الشديدة تمكنت فعلاً من الاستسلام للنوم.

صباح اليوم التالي أفاقها كايد من سباتها العميق. وبعد ساعة كانا على طريق العودة الى اوكلاند في سيارة يقودها شرطي. جلست كاريسا قرب السائق، بينما استقر كايد في المقعد الخلفي بين رجلي أمن.

أخذت الفتاة تحدّق في الطريق الممتد أمامها وهي تتذكر بمرارة

الرحلة التي قامت بها منذ أقل من ثلاثة أسابيع، وكل ما حدث في تلك الليلة القصيرة. صحيح انها كانت قلقة وعصبية في ذلك اليوم الأول لكنها كانت واثقة بقدرتها على التحكم بعواطفها، وبأنها ستتابع حياتها المليئة بعد انتهاء هذا اللقاء المزعج، وستنسى الرجل الذي غيّر حياتها منذ بضع سنوات. اما اليوم، فهي تعلم جيداً ان عواطفها نحوه لم تتغير، بل صارت اقوى رغم كل شيء. لن تستطيع بعد الآن ان تتخلص من حب الرجل الذي اعترف لها بأنه لا يعرف معنى الحب ولا قيمة العلاقات الثابتة. انه لا يرغب في ربط نفسه بها ولا بأي امرأة اخرى.

لا. لن تستسلم لهذه الافكار. لن تدعه يسيطر عليها مرة اخرى.

والتفتت الى السائق الشاب تشجعه على الكلام، علها تنشغل به عن الرجل الجالس في المقعد الخلفي. أخبرها عن طفولته في مزرعة الالبان، وحلمه الالتحاق بسلك الشرطة، وكفاحه لتحقيق هذا الحلم. وضحكت طويلاً وهي تسمع الطرائف التي رواها لها عن مهنته، والناس الذين يقابلهم. كانت ماهرة في جعل الناس يتكلمون عن انفسهم، ونمت هذه الموهبة في تعاملها اليومي مع نماذج مختلفة من الشخصيات الغريبة.

وعندما وقفت السيارة اخيراً أمام شقة موريس ظلت كاريسا تتحدث مع السائق الشاب، بينما دخل كايد المبنى بين حارسيه.

وعندما لحقت بهم بعد دقائق لاحظت النظرة القاسية التي رماها بها كايد قبل ان يلتفت الى موريس والرجل الذي برفقته، والذي تبيّن لها لاحقاً انه مفتش في الشرطة.

وجلس الرجال الثلاثة يدرسون تفاصيل خطتهم الجديدة.

وعرفت كاريسا اخيراً لماذا اصرّ رجال الشرطة على اصطحاب كايد الى اوكلاند بهذا الاسلوب العلني، ضاربين عرض الحائط بكل السرية التي اتبعوها حتى الآن. كانوا يريدون ان يعرف القاتل مكان وجود كايد. لم يعثروا عليه قرب البحيرة، لكنهم تمكنوا من ايجاد

السيارة المسروقة التي اصطدمت باحد الحواجز التي اقامها رجال الشرطة، والتي تمكن صاحبها من الفرار في احدى السيارات المارة في المنطقة. وعندما تم استجواب سائقي السيارات التي مرت على تلك الطريق، في تلك الساعة، تبين ان أحدهم التقط راكباً له اوصاف غوميز.

واستنتجت كاريسا من هذا كله انهم يريدون الآن ارغام غوميز على الخروج من مخبئه. كيف؟ وسألت بقلق واستهجان:

- تريدون استخدام كايد كطعم. اليس كذلك؟

نظر اليها كايد بقسوة. واجابها المفتش بهدوء:

- لا تخشي شيئاً يا آنسة مارتن. لن يصيبه سوء. سنحيط به من كل جانب. لكننا سنتظاهر بعكس ذلك على أمل ان يطمئن القاتل فنقبض عليه بالجرم المشهود.

- اي وهو يقتل السيد فرنالد؟

- لا... ليس تماماً. أقصد أننا سنقبض عليه بتهمة محاولة القتل. وهذا كاف لادخاله السجن لسنوات طويلة.

والتفت المفتش الى كايد قائلا:

- سيسرك ان تعلم أننا قبضنا على الرأس الكبير ومعظم افراد العصابة. وحسب معلوماتنا ان الرئيس غسل يديه من الرجل منذ فترة طويلة، وانه يعمل حالياً لحسابه فقط. وهذا يعني انهم لن يرسلوا رجلاً آخر لقتلك عندما نلقي القبض على غوميز.

وتنهد كايد بارتياح واسترخى في مقعده:

- هذا خبر سار فعلاً. لكن لماذا تخلى الرأس الكبير عن غوميز؟

- عندما فشل الرجل الذي ارسلته العصابة لقتلك في ملبورن، قرر غوميز ان يقوم بالمهمة بنفسه رغم أوامر الرئيس الذي كان يريد ان يحتفظ به لمهمة أكثر اهمية للعصابة.

وتوقف المفتش قليلاً قبل أن يكمل قائلاً:

- زملائي في أميركا يأملون ان نتمكن من اقناع غوميز باعطاء أدلة

تدين أفراد العصابة. في حوزته معلومات مهمة تفيد رجال الشرطة.

- وهذا سبب آخر لرغبتك في اصدار اقصى عقوبة ممكنة في حقه. تريد ان تخيفه ليفضح اسرار العصابة.

عض المفتش على شفتيه، ومن ثم ضحك قائلاً:

- نحن نحب المساعدة عندما نستطيع ذلك.

وقف كايد فجأة وتوجه الى النافذة. وبعد لحظات قال:

- أتعلم أن غوميز عاش حياة شريفة في السنوات العشر الماضية... قبل ان تتصل به العصابة. هل تعلم ذلك؟

تردد المفتش قبل ان يجيب:

- وكيف تعلم أنت ذلك؟ ان لم يدخل السجن، ولم يحاكم في السنوات العشر الأخيرة فهذا لا يعني بالضرورة..

- كان يعيش حياة شريفة... زوجته أخبرتني بذلك. كانت العصابة تضغط عليه بتهديده بايذاء زوجته وطفلته.

- يا لها من أساليب شريرة!

- هل كنت تعلم ذلك؟

- لا. كل ما أعرفه أن زوجته ماتت. اليس هذا هو السبب الذي جعله يريد قتلك؟ ماتت في سيارتك... اليس كذلك؟

- صحيح. والتحق غوميز بالعصابة لينتقم مني. وفاة زوجته أفقدته توازنه.

واعترف المفتش قائلا:

- حقاً انها ظروف مؤسفة... لكن الرجل... قاتل.

- في بعض الدول يعتبرون هذا نوعاً من الجرائم العاطفية، فتصدر المحكمة حكماً مخففاً، وان تمكن القاتل من تنفيذ جريمته.

وابتسم المفتش قائلا:

- هل تقصد بكلامك هذا ان نكف عن ملاحقته؟

وبادله كايد ابتسامة:

- لا رغبة عندي بانهاء حياتي، لكني لا ارغب كذلك في الانتقام

من رجل عانى الكثير في حياته. حاولت مراراً الاتصال بغوميز للتحدث اليه قبل مغادرتي للولايات المتحدة الأميركية. كان يتصل بي هاتفياً ليهددني، لكنه كان يرفض الاستماع الي. خطتك لا تعجبني يا حضرة المفتش، ولذا أطلب منك ابعاد رجالك عني.

وساد صمت مفاجىء. ولم يكد المفتش يتمالك دهشته حتى قال:

- آسف. لا أستطيع تلبية الطلب. الرجل مطلوب من رجال الأمن هنا وفي الولايات المتحدة الأميركية.
- حسناً. هذا شأنك. لكني أطالب برفع حماية رجال الشرطة عني.

ورغم اعتراض المفتش وموريس أصرّ كايد على موقفه مصراً ان رجال الشرطة لا يستطيعون ان يفرضوا عليه حماية لا يريدها.

وتدخل موريس قائلا:

- لكنك لا تستطيع ان تمنعهم من مراقبة المنزل من الخارج؟
- اعرف. لكنهم لن يتمكنوا من القبض عليه متلبساً طالما لم يدخل المنزل. ولو سمحوا له باختراق حواجزهم والوصول الي، ستكون فرصتي الوحيدة لأجعله يعرف الحقيقة. وفي الحالتين لن اكون الطعم الذي يريدون.
- ولماذا تصر على مقابلته الى هذه الدرجة؟
- من اجل زوجته!

وهنا تدخلت كاريسا بعد صمت طويل:

- تريد ان تريح ضميرك يا كايد؟
- ربما.

وعاد يلتفت الى موريس:

- موريس. سأذهب الى الفندق ان كنت ترغب بذلك.
- لا. لا. ستبقى هنا... وسأبقى معك. اما كاري فستعود الى شقتها.
- لا. كاريسا ستبقى هنا أيضاً!

انتفض موريس ونظر الى كاريسا فوجد وجهها جامداً لا يعبر عن اي انفعال. واضاف كايد:

- لا تخافا شيئاً. غوميز ليس مجرماً محترفاً. لن يؤذيكما. يريدني انا فقط.

وتوقف قليلاً قبل ان يتابع:

- تستطيع وكاريسا ان تتصرّفا بحرية. يمكنكما ان تتقاسما غرفة واحدة بدون اي احراج... كالعادة.

اضطرب موريس، وعندما نظر الى كاريسا اساء فهم نظرة الرجاء في عينيها فقال:

- لم اتقاسم في حياتي غرفة واحدة مع كاريسا. انت مخطىء تماماً في ظنك. كاريسا مساعدتي وانا احترمها جداً.

رفع كايد حاجبيه بتعجب وقال:

- آسف. كنت اظن انكما على علاقة غرامية.
- ابداً، انت مخطىء تماماً.

ونهض موريس قائلا:

- سأذهب لاعداد بعض الشاي والقهوة.

وعندما خرج من الغرفة التفت كايد الى كاريسا ساخراً:

- يا لك من مخادعة!
- انا لم اكذب. انت استنتجت ما يحلو لك.
- لكنك ساهمت في تأكيد استنتاجي. لماذا؟
- لابعدك عني. ماذا كان اسمها؟
- اسم من؟
- زوجة غوميز. ام انك لا تذكر؟
- بلى اذكر جيداً. اسمها كارلوتا. ولماذا كل هذا الاهتمام باسمها؟
- هذا جزء من عملي. سأذهب الآن لمساعدة موريس.

أرادت ان تهرب منه، ومن السؤال الذي يحرق حلقها: هل كنت

تحب كارلوتا؟ لكنها تعرف الجواب جيداً. كايد لا يحب أحداً! لماذا اذن يخاطر بحياته لمساعدة زوج كارلوتا؟ يعاني من ازمة ضمير؟

وأخذت تتصوّر كارلوتا. يا له من اسم جذاب ومثير. هل صاحبته جميلة يا ترى؟ يا له من سؤال سخيف! طبعاً هي جميلة، كل نساء كايد جميلات...

المفتش قال ان كارلوتا ماتت في سيارة كايد. حادث اذن؟ كايد كان يقود السيارة. من الطبيعي اذن ان يحمّله زوجها مسؤولية وفاتها. وكايد هل يعتبر نفسه مسؤولا عن موتها؟ الهذا يريد مقابلة غوميز؟ ليبرر وفاة كارلوتا؟

وعادت كاريسا الى غرفة الجلوس بفناجين القهوة، ووراءها موريس يحمل طبقاً من الاجبان والخبز. وجلسوا يتناولون طعامهم وشرابهم وكأن شيئاً لم يحدث في الايام القليلة الماضية.

حملت كاريسا الاطباق والفناجين الفارغة وعادت بها الى المطبخ لغسلها. وفجأة أحست بكايد يقف وراءها.

- ما بك؟ هل خشيت ان أفر من الباب الخلفي؟ او ان احمل منشفة بيضاء ألوح بها لشريكي في المؤامرة؟

ابتسم بمرح واجاب بكلمة واحدة:

- ربما.

وامسك بمنشفة نظيفة وراح يساعدها في تجفيف الاطباق. وخطر ببالها سؤال آخر لم تتمالك من طرحه:

- ماذا حدث لابنة كارلوتا؟

- هي مع جدتها. كانت كارلوتا تتركها بعهدة والدتها عندما كانت تأتي لزيارتي.

- طبعاً. لم تكن المرأة لتصطحب ابنتها الصغيرة في زيارتها لصديقها.

وتمنت كاريسا لو لم تفتح هذا الموضوع لأنه أجابها ساخراً:

- وهذا السؤال ايضاً جزء من عملك. ماذا تريدين ان تعرفي

بعد؟

- كنت مهتمة بالطفلة. انا احب الاطفال واعتقد انه من واجب الكبار الاهتمام بهم وتحسين العالم الذي يعيشون فيه.

لم يجب. وعلى غير عادته أشاح نظره عنها وانهمك في تجفيف الاطباق. وبعد دقائق من الصمت الثقيل سألها:

- اجيبيني بصراحة يا كاريسا...

قاطعته بمرارة:

- وهل تعتقد انه بامكاني ان اكون صادقة وصريحة.

تجاهل تعليقها، وسألها بسرعة:

- كيف كنت تفكرين بي في السنوات الماضية؟ بكره؟ اعرف انني كنت في غاية القسوة معك، لكنها كانت تجربة جديدة بالنسبة الي ايضاً.

- وهل ازعجك هذا الأمر؟

- تعرفين جيداً انه ضايقني جداً، ولذا كنت قاسياً معك. شعرت بالذنب... ألا تفهمين ذلك؟

لم تجب فسارع الى القول:

- لم تجيبي على سؤالي بعد!

- حاولت ان لا افكر بك على الاطلاق. لم يكن هناك ما اريد ان اتذكره.

- لا شيء؟ لا شيء على الاطلاق.

- وماذا تريدني ان اتذكر؟ العار، الذل، الالم؟ ولماذا اتذكر كل هذا؟ اريد ان انسى ما حدث.

تسمّر كايد في مكانه. وبعد لحظات قال بصوت فيه مزيج من الحزن والتوتر:

- آسف. لو كنت اكبر سناً لكان بالامكان معالجة كل هذه الجراح.

وتردد قليلاً قبل ان يضيف:

- امل ان يكون الرجل الذي عرفته بعدي قد تمكن من تصحيح الخطأ الذي ارتكبته.

- اي رجل؟ لم اعرف رجالاً بعدك.

- ماذا؟

- لم اعرف اي رجل بعدك. نفرت من كل الرجال.

- هل آلمتك لهذه الدرجة. يا الهي. لا استغرب الآن ان تكرهيني الى هذا الحد. يا الهي.

وانصرف عنها، فاتكأت على الطاولة. وانهمرت الدموع من عينيها لتفتح جروحاً لم يطوها النسيان.

٨- وداعاً أيتها الرقيقة

لا بدّ انّ صوتاً ما أيقظها. حدّقت بخوف باتجاه النافذة فرأت الرجل الواقف هناك، كشبح نحيف في الضوء الخافت المتسرب من قناديل الطريق، والمتسلل برقة عبر الستائر.

وفجأة اختفى الضوء لتغرق الغرفة بسواد دامس، ما عدا بريق فضي يتراقص من تحت الباب المغلق. همست للظل القريب:

- كايد.

وتحرّك الرجل فجأة وبعصبية ظاهرة، فعرفت انه ليس كايد او موريس.

القت الغطاء عنها وهرولت صارخة الى الباب.

- كايد!

لكن الرجل تمكّن من اللحاق بها والقبض عليها. حاولت أن تقاومه بدون جدوى. وهمس بصوت بدت نبراته مألوفة:

- معي سكين هنا. اسكتي، ولا تأتي بحركة واحدة!

وعندما دخل كايد الغرفة وأضاء النور، ووراءه موريس مذهولاً، كان غوميز ممسكاً بها امامه ونصل السكين يلمع قرب عنقها.

تسمّر كايد في مكانه. اما موريس فحاول التراجع بسرعة وهو يتمتم:

- سأتصل . . .

فحذره غوميز:

- اذا اتصلت بأي كان، فستموت الفتاة!

شحب موريس وتسمّر مكانه لا يعرف ماذا يفعل. أما كايد فاحمرّ لونه غضباً:

- دعها يا غوميز! لا علاقة لها بالموضوع. انت تريدني.

وحاول الاقتراب منها. فتشنجت يد غوميز على السكين. واحسّت كاريسا بالنصل البارد يلامس عنقها مهدداً.

توقف كايد في مكانه، وقد شحب وجهه، وتألقت عيناه ببريق خطر.

- لو اصبتها بسوء، بأي طريقة، يا غوميز، لن اسلمك الى رجال الشرطة، سأقتلك بيدي بدون رحمة.

- انها فتاتك. أليس كذلك؟

سأل الرجل وهو يحمل كلماته معان خفية، جعلت كايد يضطرب قلقاً:

- هي مجرد فتاة. اتركها يا غوميز، قلت لك لا علاقة لها بما هو عالق بيني وبينك. هذا كل شيء.

واحست كاريسا بحرارة أنفاس غوميز تلسع خدها وهو يقول:

- اعتقد انها فتاتك.

وتدخّلت كاريسا لتقول

- لا يا سيد غوميز. كان يعتقد اني أساعدك.

واحست للحظة انه ارخى قبضته عنها، لكنها لم تستطع استغلال الفرصة لأنه عاد الى الامساك بها بقوة.

وتساءلت عما اذا كان المفتش قد تعمّد السماح له بدخول الشقة. أم انه تمكّن من التسلل بينهم. ان كانوا يعرفون انه هنا، لا بد وأنهم سيأتون بعد قليل.

وسأل الرجل كايد بسخرية:

- ولماذا تقدم على مساعدتي؟

- لأنها ايضاً تكرهني.

أضاف كايد بهدوء، قبل ان يتابع:

- دعها تذهب.

- لا بد انك تعتقد بأني ساذج. رأيتها معك عند البحيرة.

وهنا تدخّل موريس للمرة الأولى:

- انها تعمل معي. لم تكن فكرتها ان ترافق كايد . . . ولا فكرته.

وعندما لم يجب غوميز، قال كايد:

- جئت كي تصفّي حسابك معي. كف اذن عن الاختباء وراء امرأة.

- انا لا اختبىء.

- اذن تحاول استغلالها كما فعلت مع كارلوتا!

وتصلّبت الذراع التي تلف عنق كاريسا، واحست الفتاة بالرجل يلهث غاضباً.

وتابع كايد حديثه بهدوء:

- أنت استعملت زوجتك أليس كذلك يا غوميز؟ انت اللذي ارسلتها الي . . . ارسلتها لتبيع جسمها الجميل . . . لأنك . . .

وصرخ الرجل كحيوان يمزقه الغضب والألم. ثم دفع كاريسا جانباً وهجم على كايد.

ركض موريس قبل ان يصل الرجل الى كايد، وضرب برجله اليد

التي كانت تحمل السكين. فصرخ كايد محذراً:

- لا تتدخل يا موريس. الرجل يريدني أنا.

وتمكن كايد بانحناءة سريعة من تجنب النصل الذي اقترب منه بسرعة مخيفة. ثم أمسك بيدي غوميز وبحركة واحدة طرحه أرضاً.

وتحرك كايد مجدداً، بخفة مفاجئة، ليسحب السكين من غوميز الذي استفاق من ذهوله ليحدق بكره في عيني كايد.

وأخيراً قال كايد بهدوء:

- والآن انهض يا غوميز ببطء... انت وانا سنتحدث.

كان احد ما يطرق بعنف على الباب الخارجي أراد موريس ان يفتح الباب فقال له كايد:

- قل للمفتش ان كل شيء على ما يرام. ولا تفتح الباب لأحد.

ثم نظر الى غوميز الذي حاول الوقوف وهو ما يزال يحدق بالسكين في يد كايد.

- هيا الى الغرفة الثانية.

وكانت مشادّة عنيفة تجري في الخارج بين المفتش وموريس. لكن كايد اكّد مرّة اخرى:

- قل له، انه لا يحق لاحد منهم الدخول بدون مذكرة تفتيش.

واضاف بلهجة آمرة:

- ولو خطر لهم خلع الباب، سالاحقهم قانونياً بتهمة الضرر واقتحام املاك شخصية، وهذا سيكلف المفتش عمله.

وأشار كايد الى غوميز بالجلوس، وجلس هو على المقعد المقابل.

ووضعت كاريسا رداء سميكاً فوق ثوب النوم ووقفت على باب الغرفة تشد أصابعها لا شعورياً على القماش.

وبدون ان يرفع عينيه عن غوميز سألها كايد:

- هل انت بخير يا كاريسا؟

- نعم.

كانت تأمل بأن لا يطلب منها الابتعاد عن الغرفة. غوميز كان

يبدو هادئاً في تلك اللحظة، لكن النظرات الحادّة التي كان يرميها بين حين وآخر على السكين في يد كايد، جعلتها تتأكد من انه ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض على خصمه وانهاء ما اتى من اجله. وقال موريس:

- يقولون ان بحوزتهم مذكرة تفتيش، واذا لم تفتح الباب سيلاحقوننا لأننا نخبىء مجرماً.

وتدخلت كاريسا لتقول راجية:

- كايد. أرجوك دعهم يأخذونه.

- لا. اطلب منهم يا موريس ان يتركوا لي نصف ساعة.

واشتد القرع على الباب فوعدهم موريس بفتحه بعد نصف ساعة، وقال كايد:

- موريس. ان كنت ترغب بمغادرة الغرفة، افعل ذلك، الامر يعود لك.

وهز موريس رأسه بالنفي. فالتفت كايد الى كاريسا:

- كاريسا؟

- سأبقى هنا!

وعاد كايد يركز اهتمامه على غوميز:

- هل ترغب بسيكارة؟

وهز غوميز رأسه بالنفي فتابع كايد حديثه قائلاً:

- آسف لما قلته عن زوجتك. كانت الطريقة الوحيدة لاجعلك تترك الفتاة وتهاجمني. زوجتك جاءت برغبتها لـ..

وقاطعه سيل من الشتائم انهال عليه من غوميز. ظل كايد ساكناً لا ينمّ وجهه عن اي شيء. انتظر ان ينتهي الرجل من شتائمه حتى يتابع حديثه:

- والآن اسكت واسمعني.

قالها بحدّة فاجأت غوميز:

- اسمع يا غوميز، انت تسيء الى ذكرى زوجتك. لم انسها ابداً

وعليك ان تخجل من نفسك لمجرد التفكير بهذا الامر الشائن. هي لم تخنك ابداً. كانت تحبك. ولذا جاءتني لتطلب مبلغاً من المال...

وقاطعه غوميز غاضباً:

- وكنت انت ستعطيها المال بدون مقابل اليس كذلك؟ رأيت الشيك الذي كانت تحمله في حقيبتها عند وفاتها. آلاف الدولارات! دفعت لها ثمن خيانتها. اليس كذلك؟

وانحنى كايد الى الامام:

- لا. انا اعرف كارلوتا منذ كانت طفلة. كانت صديقة لشقيقتي. وانقطع لاحقاً الاتصال بها... وبشقيقتي. لكن اسمي كان دائماً على صفحات الجرائد. ولذا عرفت اين تجدني، جاءت لتخبرني انها بحاجة ماسة الى المال. الكثير منه، لتترك البلد وتبدأ حياتها مجدداً في مدينة اخرى، معك ومع ابنتكما. كانت خائفة عليك يا غوميز. وتخشى ان ترغمك العصابة على العمل معها مجدداً، فيصبح والد ابنتها مجرماً، فيلقي رجال الشرطة القبض عليك وتنتهي ايامك في السجن. وكنت انا المصدر الوحيد الذي فكرت به للحصول على كمية المال التي كانت بحاجة اليها.

- وانت اعطيتها المال هكذا، بدون مقابل؟ هل تتوقع مني ان اصدق ذلك؟ ومن ثم ماذا كانت تفعل في سيارتك عندما حدث الاصطدام الذي أودى بحياتها؟

- كانت حادثة مروعة. السائق الآخر كان مترنحاً وهو يقود سيارته بسرعة ولم يستطع ان يسيطر على المقود عند المنعطف فاصطدم بي. لا بد ان البوليس اخبرك...

- البوليس! انهم يحمون الرجال الاغنياء؟ هل قتلتها عن عمد؟ هل كتبت الشيك وقتلتها حتى لا تعيش لصرفه؟

- لا تكن مجنوناً. كدت اقتل انا ومدير اعمالي في الحادث. كانت كارلوتا تجلس في المقعد الامامي ولذا اصيبت بجراح بالغة. انا آسف جداً. لكنني لا استطيع ان اعيدها الى الحياة. لا احد يستطيع.

وامسكت كاريسا انفاسها وهي ترى حجم العذاب الذي ارتسم على وجه غوميز وهو يرفع نظره الى كايد. وتابع كايد حديثه بلطف:

- اوصلتها الى البيت... اليك. كنت في طريقي الى تسجيل احدى الحفلات، فرأيت انه من الافضل ان أوصلها بنفسي. كانت تنوي ان تأخذ ابنتك، لتذهب اليك فوراً وتخبرك بالاخبار الجيدة... حياة جديدة لكم جميعاً. انا آسف.

وظل الرجل صامتاً وكأنه يجد صعوبة في تصديق ما يسمع. واضاف كايد مؤكداً:

- صدقني. اقسم بأن ما اقوله صحيحاً. كارلوتا جاءت تطلب مني المساعدة باسم الصداقة القديمة، وأنا لم اردها خائبة. لم تعطني مقابل ذلك إلاّ امتنانها.

وتمتم غوميز:

- لماذا؟ لماذا قدّمت لها كل هذه المساعدة؟

وتردّد كايد قليلاً قبل ان يقول:

- لانها كانت مرة صديقة شقيقتي. لم اعد اعرف شيئاً عن شقيقتي منذ هربت من المنزل وهي لا تتجاوز الثالثة عشرة من العمر، ربما ماتت، لا اعرف. كافحت طويلاً لأبني لنفسي اسماً ومركزاً من اجل شقيقتي الصغيرة. وأنا اعرف يا غوميز انها... لو كانت حية، كانت ستصر على ان أساعد كارلوتا. هذا هو السبب الوحيد.

كان غوميز يهز رأسه يميناً ويساراً، لكن النظرة في عينيه بدت اكثر ليناً، واقل رفضاً رغم قوله:

- لا. لا استطيع ان أصدّق.

- هل تفضل ان تفكر بأن زوجتك كانت تبيع نفسها لمن يدفع اكثر.

وقفز الرجل من مكانه ليهجم على كايد. لكن هذا الاخير كان مستعداً ايضاً، فتجنبه بسرعة وهو ما يزال ممسكاً بالسكين في يده. وبعفوية اقتربت كاريسا من كايد وكأنها تريد حمايته. وعندما رأت

الرجلين يحدقان ببعضهما قالت بصوت مرتعش:
- ارجوك يا سيد غوميز. الا ترى انه يحرك الحقيقة؟ كنت تحب زوجتك ولا يمكنك ان تصدق انها يمكن ان تخونك. انت تشعر بالالم والغضب لانها ماتت. لكن الغضب لن يفيدك شيئاً. لم تكن غلطة كايد. ولم تكن غلطتك. لا يمكننا ان نلوم احداً يا سيد غوميز.
ونظر اليها كأنه يراها للمرة الاولى. واخفى وجهه بين يديه وسقط على المقعد ليبكي بحرقة وهو يشهق:
- اعرف... اعرف... اعرف...
ورمى كايد بالسكين على طاولة قريبة، فلم ينظر اليها غوميز ولا حتى لحظة واحدة. اقتربت منه كاريسا، وركعت بجانب مقعده وهي تضع يدها على ركبتيه. أمسك بها وأخذ يضغط بقوة على اصابعها، ناظراً اليها بألم وكأنه يحاول ان يشرح لها شيئاً مهماً:
- كانت جميلة جداً زوجتي كارلوتا... هي اجمل من ان تكون جثة هامدة.
وهمست كاريسا:
- آسفة.
وبلعت ريقها وهي تشعر بغصة كبيرة للعذاب المرتسم في عينيه.
- ابنتك الصغيرة هل... هل تشبهها؟
وهز رأسه بالايجاب، وللحظة اختفى الالم من عينيه وهو يقول:
- ريتا... نعم. انها تشبه والدتها. لو تعرفين كم تفتقد امها؟
- لا بد أنها تفتقدك ايضاً. اليس المفروض بك ان تعود اليها الآن؟ كارلوتا لا بد تريدك ان تبقى قرب ابنتها لتعوّضها حنان أمها، اليس كذلك؟
- نعم. كم كنت مجنوناً. اظن انّ الطفلة ستكون على ما يرام مع جدتها... حتى اخرج من السجن.
وأخذ نفساً عميقاً قبل ان يقول لكايد:
- اعتقد انه من الافضل ان تفتح الباب الآن.

والتفت كايد الى موريس:
- افتح الباب يا موريس. وقل للمفتش ان السيد غوميز يرغب بالتحدث اليه.
وعندما دخل المفتش الغرفة دهش للهدوء المخيم عليها. وعندما سلم كايد مذكرة التفتيش سأل الاخير:
- هل استطيع ان اسأل على اي اساس تريد القاء القبض على صديقي غوميز؟
- صديقك؟
صرخ المفتش بدهشة. فقال كايد:
- كان عليّ ان اوضح لك يا سيدي المفتش ان غوميز جاء الى شقتي بناء على دعوتي.
قالها كايد ببطء، فلم يتمالك المفتش اعصابه:
- دعوتك؟ وهل يتسلّل اصدقاؤك عادة من النافذة وهم يحملون سكيناً؟
- هل تقصد هذه؟
ورفع كايد السكين بلا مبالاة ظاهرة، وأخذ يلهو بها.
- هذه السكين ملكي يا سيادة المفتش. هدية من صديق. ستجد بصمات أصابعي عليها ان كنت تريد التأكد من ذلك.
قاطعه المفتش بغضب:
- هل أفهم من ذلك انك لا تريد رفع دعوى على السيد غوميز بمحاولة قتلك؟
- محاولة قتل؟ انها تهمة كبيرة يا حضرة المفتش. انا لن أجرؤ على اتهام اي شخص بهذا، ما دمت لا املك الادلة الكافية على ذلك.
- ولا أنا يا سيد فرانكلين. عندي شهود يؤكدون انهم سمعوا طلقات الرصاص.
- انا لم أصب باي رصاصة كما ترى. والمركب أيضاً ليس عليه اي اثر للنار.

- ورأوا الرجل ايضاً يحاول الفرار منك ومن مراقبيك.

- كم واحد منهم رأى وجه الرجل؟ للأسف يا حضرة المفتش لم تتمكن من اللحاق به. تلاشى في الهواء. لا بد انه احد صيادي البط الحمقى الذين لا يعرفون كيف يستخدمون بنادقهم.

- استطيع ان استدعيك قانونياً للشهادة يا سيد فرناند، وصديقك ايضاً؟

- اعرف. لكنك ستجدني شاهداً سلبياً، لن تنفعك شهادته في شيء. ومن جهة اخرى تجد السيد غوميز في غاية التعاون فيما يختص بمسألة في غاية الاهمية تعني زملاء لك في ولاية اخرى. للسيد غوميز ابنة صغيرة يريد ان يبعد عنها اذى بعض الاشخاص الذين تلاحقهم العدالة. آه... تذكرت شيئاً!

والتفت الى غوميز الواقف بين شرطيين ليقول:

- لم تستخدم المال الذي اعرتك اياه سابقاً، ولذا ارجو ان تقبل مني هذا المبلغ لا ترفض. ارجوك... من اجل طفلتك الصغيرة، وحتى تتمكن من نقلها الى ولاية اخرى. اكون سعيداً لو قبلت... من اجل شقيقتي ايضاً.

- شكراً لك.

وسأل المفتش بشك:

- شقيقتك؟ أكانت زوجة غوميز شقيقتك؟

- لا استنتاجك السريع خاطىء تماماً.

وعاد يلتفت الى غوميز ليتابع:

- اتمنى لو كانت شقيقتي. كنت ساكون شديد الفخر بها.

وأحست كاريسا بذوبان آخر أثر للشك من عيني غوميز، الذي خرج برفقة رجال الشرطة.

وعندما خلت الغرفة تماماً، القى موريس جسمه على اقرب مقعد وتنهد ارتياحاً.

احست كاريسا انها هي ايضاً عاجزة عن الوقوف فجلست تفكر

بكل ما جرى. وسادت لحظات صمت ثقيلة قطعها كايد قائلاً:

- كاريسا. هل انت بخير؟

- نعم. شكراً.

وامسك كايد بالسكين، فلمع نصلها في الضوء مما جعل كاريسا تعلق بصوت مرتعش:

- كف عن اللعب بهذا الشيء يا كايد!

- آسف.

واعاد السكين الى مكانها قائلاً:

- هل تعرفين ان غوميز لم يكن ليؤذيك. هو ليس مجرماً في أعماقه.

- كنت في غاية التعاطف معه، اليس كذلك؟

قالت ذلك وهي تتذكر تأكيده لها بأنه لم يكن في يوم من الايام رقيق الشعور.

نظر اليها بحدة قبل ان يقول:

- لا أريد الخوض في هذا الحديث الآن. انا بحاجة الى النوم.

تثاءب موريس:

- وانا ايضاً!

وغادر الغرفة مسرعاً. اما كايد فظل جالساً في مكانه، وهو يلهو بالسكين.

وسألته كاريسا بحدة:

- هل تريد الاحتفاظ بها كذكرى.

- ربما.

ونظر اليها وهي تنهض لتذهب الى غرفة نومها.

- آسف كاريسا لأنني لم أثق بك. كنت أريد ذلك بشدة لكن.

- اعرف انك لا تثق باحد... خاصة أنا.

استيقظت متأخرة صباح اليوم التالي وهي تشعر بانقباض وتوتر. صحيح ان القضية انتهت على خير، وان عليها ان تشعر بالارتياح.

لذلك، الا انها لم تكن تستطيع منع نفسها من التفكير برحيل كايد الوشيك. ايام قليلة وستنضم الى لائحة الفتيات اللواتي احبهن قليلاً ثم تركهن.

وحاولت ان تستنجد بكرامتها لتقنع نفسها انها سعيدة لأنه لم يتمكن هذه المرة من الحصول على ما يريد، وأنها خرجت منتصرة من المعركة التي واجهها بها لكن... ان كانت تعتبر ما حققته انتصاراً، لماذا تشعر اذن بكل هذه الكآبة، وكل هذا الفراغ.

ما بها؟ انها تدرك جيداً انه يريدها فقط لبضع ساعات... دمية يلهو بها ويرميها. هي ترفض هذا النوع من العلاقات... لماذا تحس اذن بالألم وبالهزيمة. معاناتها تفوق بمراحل الألم الذي سببته له برفضها له.

أرغمت نفسها على النهوض من السرير. ارتدت ملابسها وخرجت الى غرفة الجلوس. وهناك وجدت موريس جالساً بمفرده.

- كايد ذهب الى مخفر الشرطة. اتصل بأفضل محام في البلد، وذهبا معاً لرؤية غوميز. يبدو انه يرغب فعلاً في مساعدة الرجل. هل أخبرك بظنوني؟

- ماذا؟

سألت كاريسا وهي ساهمة. شعرت بمزيج من الراحة والألم عندما دخلت الغرفة ولم تجد كايد. سمعت موريس يقول:

- اعتقد أنه كان على علاقة بكارلوتا هذه. لماذا يهتم اذن الى هذه الدرجة بمساعدة زوجها؟ الرجل كان يحاول قتله.

- ربما يشعر بالذنب لأن كارلوتا قتلت في سيارته وهو وراء المقود.

بررت كاريسا بقوة، وهي تحاول ان تخفي ألمها للفكرة التي طرحها موريس.

- لكنه لم يكن وراء المقود. ألم يخبرك بذلك؟ جاك ستون، مدير أعماله، كان يقود السيارة عندما حدث الاصطدام وليس كايد.

- لكنه جعل غوميز يعتقد انه هو الذي كان وراء المقود؟

- نعم. لاحظت ذلك. كايد شخصية غريبة فعلاً اليس كذلك؟

- نعم.

ظنت كاريسا مرة، عندما كانت فتاة جاهلة، أنها تعرف كايدز فرناند جيداً. لكنها تدرك الآن انها لم تبدأ بفهمه إلاّ مؤخراً، وبعد فوات الأوان. لن يتوفر لها الوقت أو الفرصة لتعرفه أكثر، ولتكتشف خبايا شخصيته. لقد وضع حواجز بينه وبين كل النساء منذ زمن بعيد... وهذه الحواجز لا ينوي ان يسقطها من اجلها. ربما كان كايد، كما قال موريس، على علاقة بكارلوتا. ربما استطاعت هذه المرأة ان تعرفه أكثر منها... عرفته منذ الطفولة، وربما قبل ان يبني كل هذه الحواجز... ربما عرفت كيف تخترق هذه الحواجز لأنها تدرك ما وراءها. الشيء الأكيد انه كان مهتماً جداً بمساعدة زوجها.

وأعد موريس طعام الفطور، وحاولت كاريسا ان تتجنب الحديث عما جرى الليلة الماضية. أحست انها لا تريد التحدث عنها حتى لا تتذكر ان كايد سيرحل قريباً...

وعندما انتهيا من تناول الطعام قال موريس:

- سأذهب الى المكتب الآن.

- هل استطيع مرافقتك؟

كانت هذه الوسيلة الوحيدة لتهرب من كايد، فلا ينفرد بها في الشقة الصغيرة.

- لا. أريدك ان تبقي هنا للاهتمام بكايد فور عودته. لا تدعيه يبتعد عن نظرك. أريده ان يوقع عقداً معي قبل ان يغادر البلد. وعدني بالقيام بجولة فنية.

- أنا واثقة أنه لن يعود عن كلامه.

- ربما. لكنني لن أصدق حتى ارى العقد بعيني. اني اعتمد عليك يا كاري. اتصلي بي فور عودته وسأرجع بأقصى سرعة لأحصل على توقيعه.

وبعد ذهاب موريس حاولت كاريسا ان تشغل نفسها بترتيب

المنزل. ولاحظت ان السكين اختفت من مكانها. لا بد ان كايد وضعها في حقيبته.

وعندما دخلت اخيراً الى غرفة نومها نظرت الى وجهها في المرآة. تبدو شاحبة وهناك بعض الظلال الداكنة تحت عينيها.

جلست أمام المرآة بغضب، واخذت تمسح بمساحيق التجميل آثار الارهاق الذي ترك بصمات واضحة على تقاطيعها. وضعت لمسة خفيفة من كريم الاساس تحت عينيها لتخفي الهالات السوداء، ولونت شفتيها بحمرة وردية. ثم امسكت بالفرشاة واخذت تسرّح شعرها بقوة حتى اصبح لامعاً. وعندما انتهت تفحصت النتيجة باهتمام. الظل الاخضر على عينيها، واللون الاسود على رموشها، والبودرة الخفيفة على وجنتيها، اضفت كلها بريقاً مميزاً على وجهها. وكي ترضى تماماً عن مظهرها قررت اختيار فستان انيق. قرب البحيرة كانت في معظم الاحيان ترتدي القمصان والسراويل المريحة، لكنها ستضع اليوم فستانها الحريري الاخضر الذي يليق بلون عينيها... ويرفع معنوياتها. تريد ان تشعر بالثقة بجمالها حتى تستطيع مواجهة كايد عند عودته.

وعندما فتحت الباب اخيراً لكايد كانت تبدو في غاية الهدوء والتألق. صحيح ان قلبها خفق بسرعة عندما رآته، لكنها تمكنت بمهارة من اخفاء شعورها. وسألته بتهذيب:

ـ كيف سارت الأمور؟

ـ لا بأس.

وتفحصها بعين خبيرة. لاحظ المكياج المتقن والفستان الانيق لكنه لم يعلق شيئاً.

بل تابع حديثه عن غوميز:

ـ يبدو ان غوميز لن يحاكم الا لمدة بسيطة جداً... بما انه سيتعاون مع رجال الشرطة الآن.

ـ وبما انك لن تشهد ضده.

ـ وهذا ايضاً.

وصمت كايد لحظة بدون ان يرفع بصره عنها فأحست بالتوتر. نها سألته ببرود:

ـ هل تناولت طعام الفطور؟

ـ نعم... وأيضاً فنجاناً من الشاي في مخفر الشرطة رغم اني اظن ، المفتش كان يفضل ان يقدم لي خبزاً وماء.

ـ لا بد انك حرمته من الترقية التي كان يتوقعها

ـ ستكون امامه فرص اخرى

واقترب منها قائلاً:

ـ هل تريدين شراباً بارداً؟

ـ لا. شكراً. ليس الآن!

وبهدوء ابتعدت عنه، واتجهت الى آلة الهاتف.

ـ وعدت موريس الاتصال به فور عودتك.

ولحق بها كايد وهي ترفع السماعة:

ـ لا تتصلي به الآن. أريد ان اتحدث اليك.

فأجابته بهدوء:

ـ وعدته بذلك. يريد ان يراك...

وبدأت تطلب الرقم، لكن كايد اخذ السماعة من يدها وأعادها لى مكانها. وحاولت ان تداري اضطرابها بالاحتجاج على اوامره كنه قاطعها قائلا بوضوح وحدّة:

ـ قلت ليس الآن. سأرى موريس لاحقاً. سيحصل على عقده.

ـ عندما يناسبك ذلك؟

ـ صحيح

ارادت ان تهرب منه، لكنه اجبرها على البقاء في مكانها:

ـ انت دائماً تريد الأمور كما تشتهي.

اجابها ساخراً:

ـ نعم، انت غاضبة اليس كذلك؟ عيناك تحولتا الى لون اخضر

داكن. هل تذكرين النادل... في سيدني؟

أبعدت وجهها عنه، وهي تدّعي اللامبالاة:

- لا.

ضحك ضحكة خافتة:

- بل تذكرين جيداً.

- حسناً قل اني لا اريد ان اذكر، ولا أريد ان يذكرني احد بذلك... لا اريد ان اذكر شيئاً.

- لا شيء... ولا حتى هذا.

وعانقها بسرعة. حاولت ان تتمالك اعصابها وان تسيطر على قلبها الذي بدأ يغني عالياً. يريد فقط ان يتسلى بعواطفها مرة اخرى. بل ربما يحاول ان يثبت لنفسه انها لن تستطيع مقاومته.

ابتعدت عنه مسرعة لتخرج الى الشرفة. هي بحاجة الى هواء نظيف ينقي ذهنها.

ولحق بها كايد:

- ماذا تريدين يا كاريسا؟

أجابته بحدة:

- لا شيء تستطيع اعطائي اياه.

- قلت لك اني لا اعرف كيف احب...

اكتشف مشاعرها اذن. يعرف انها تريد الحب الذي لا يستطيع منحها اياه. كرامتها الجريحة جعلتها تلتفت اليه غاضبة، لتكذب عليه قائلة بيأس:

- لا أريد حبك. لا أريدك بأية طريقة.

وعندما رأت نظرة الشك في عينيه أكدت:

- نعم لا أريدك. اعترف اني انسقت قليلاً قرب البحيرة وراء ذكريات حب المراهقة لكنك حطمت كل احلامي، عندما قلت اني غير جديرة بالثقة. كانت هذه بداية النهاية. والآن وقد عدنا الى الاجواء الطبيعية أجد أني انتظر بشوق اللحظة التي سنغادرها فيها.

انت انسان اناني لا يحب الاّ نفسه. ولا استطيع ان اتصور كيف ساعدت المسكين غوميز، الاّ اذا كنت تحب ان تبدو بصورة البطل المتسامح الذي يرأف بالغير.

احست انها تظلمه. عرفت ذلك لحظة تفوهت بالكلمات. وكادت تعتذر عندما قاطعها ضاحكاً:

- لا لم يكن هذا السبب! هناك شيء أهم من هذه الأمور السخيفة.

وحدقت به وهو يتابع:

- غريب انك لم تتبيني الحقيقة. فلنفترض اني شهدت ضده او ارسلته الى السجن. سيخرج بعد سنوات اكثر مرارة وحقداً علي. اكون قد أجلت المشكلة بدون حلها. بهذه الطريقة ابعدته عني واصبح صديقي مدى الحياة.

ونظر الى وجهها الشاحب قبل ان يتابع:

- علي ان اشكرك على مساعدتك لاقناعه باقوالي. اعتقد ان خطابك المقنع كان فعلاً لصالحي، كنت تبدين في غاية الصدق.

وأحست كاريسا باشمئزاز وهي تجيبه:

- كنت صادقة فعلاً. الم تكن انت كذلك؟ ظننت انك كنت تريد مساعدته؟

- كنت أريد مساعدته... لأنني مهتم بالمحافظة على حياتي.

- ما قلته عن كارلوتا... الم يكن صحيحاً؟

توقف كايد قليلاً، وارتدى وجهه قناعاً جامداً.

- بل كان صحيحاً الى حد كبير. لكني اعترف انني اغفلت ذكر تفصيل او اكثر. صحيح انها جاءت تطلب مني المال لتنقله من افراد العصابة فيبدأ حياة جديدة في ولاية اخرى، وصحيح ايضاً انها تحب زوجها وطفلتها... لكن ما تبقى من القصة...

وابتسم ساخراً قبل ان يتابع بلؤم:

- فلنقل ان السيدة لم تكن بالطهارة التي صورتها لزوجها وفي

الواقع. . .
وقاطعته كاريسا بحدة:

ـ لا أريد ان اسمع المزيد. اخبرتني مرة انك تشتري النساء دائماً. لا بد انها كانت جميلة جداً حتى دفعت ثمناً غالياً لها.

وابتعدت عنه متجاهلة بريق الغضب في عينيه. اقتربت من الهاتف واخذت تطلب رقم موريس بينما وقف كايد بعيداً عنها يراقبها بصمت.

وشغلت كاريسا نفسها باعداد طعام الغداء وجلس كايد في الشرفة، في المقعد الذي وجدته عليه عندما رأته عند موريس للمرة الاولى. احست وكأن زمناً طويلاً مضى على تلك اللحظة. اشياء كثيرة حدثت بعد ذلك. . . وعرفت ان الحياة لن تعود كما كانت.

من حسن الحظ ان موريس كان مشغولاً باعداد العقد والاشراف على آخر تفاصيله فلم يلاحظ ان كايد وكاريسا لم يتبادلا كلمة واحدة، بل ان كاريسا كانت عاجزة حتى عن الكلام.

كانت تحس بأنها على وشك الصراخ. كم تتمنى لو ينتهي هذا النهار ويذهب كايد. ستصبح حياتها أسهل عندما يخرج منها. ستستقيل من عملها في أقرب فرصة ممكنة، وبدون أن تجعل موريس يشك في السبب. ستغادر المدينة قبل ان يعود كايد ليقوم بجولته الفنية. لا شيء سيجعلها تقبل المخاطرة برؤيته مرة ثانية، ومعاناة كل هذا مرة اخرى.

نظفت كاريسا المائدة، ليضع موريس العقد عليها. واخذ كايد يقرأ النوتة باهتمام وهو يجري بعض التعديلات هنا وهناك. ومرة نظر اليها موريس وكأنه يريد ان يستشيرها، فأشاحت بوجهها. لا تريد ان يشركها في اي شيء له علاقة بكايد.

وعندما وقع كايد العقد اخيراً، بدا على موريس الارتياح وهو يطويه ليضعه في المغلف وقال كايد:

ـ تستطيع ان تبحث التفاصيل المادية مع جاك. سأبقى في الفندق

الليلة، لاني سأسافر في الصباح الباكر.

واحتج موريس على ذهاب كايد الى الفندق، لكن هذا الاخير أصرّ كعادته على موقفه، فحجزت له كاريسا شقة رائعة. وعندما عرض عليه موريس ان تمر عليه كاريسا لترافقه الى المطار صباح اليوم التالي، رفض قائلا:

ـ لا شكرا. سئمت كاريسا من مرافقتي في هذه الرحلة.

ولم تستطع كاريسا ان تجيب حتى بكلمات مهذبة. وعندما اكد موريس انها لن تتضايق ابداً، بدا صمتها اكثر تأكيداً للعكس. ونظر اليها موريس بقلق وتساؤل، ثم عرض على كايد ان يوصله الى الفندق بنفسه، فتنفست كاريسا الصعداء.

ـ هل تسمح لي بالذهاب الى البيت يا موريس. أراك صباح الغد في المكتب.

ـ خذي اجازة يا كاريسا انت مرهقة.

وشكرها كايد بتهذيب بارد:

ـ كنت مساعدة ممتازة. شكراً لك يا كاريسا. انت تستحقين اجازة طويلة.

وقاطعه موريس ليقول لكاريسا:

ـ هيا بنا. سنوصلك الى منزلك.

واضطرت كاريسا لتحمل مرارة الرحلة القصيرة. جلست في المقعد الخلفي واستقر الرجلان في المقعد الامامي يتبادلان احاديث سطحية.

وعندما توقفت السيارة اخيراً امام منزل كاريسا، نزل كايد وفتح لها الباب. حاول ان يساعدها في حمل حقيبتها لكنها رفضت باصرار.

ـ سأتدبر امري شكراً.

مدت له يدها وهي تقول ببرود:

ـ رافقتك السلامة يا كايد. حظاً طيباً.

تجاهل يدها الممدودة، وطبع على خدها قبلة خفيفة:

- وداعاً يا كاريسا الرقيقة. شكراً لك عل كل شيء.
ومنعت كاريسا نفسها من التحديق بالسيارة وهي تنطلق به بعيداً عنها.

٩- الداء... والدواء

لم تستطع كاريسا البقاء في المنزل. فضلت الذهاب الى المكتب. قد يلهيها العمل عن التفكير بكايد.

لكن رغم استغراقها في مهامها الروتينية، لم تستطع ابعاد صورته عن ذهنها. كان موريس قد حصل منه عل صورة موقعة بامضائه قبل ساعات قليلة من رحيله. وها هي تراها أمامها في الرواق المؤدي الى مكتب رئيسها. وكل مرة تمر بها، تشعر ان الرجل الوسيم يحدّق بها بسخرية، فترتجف أعماقها، وتحاول تجنب النظر اليها.

كانت تجرجر نفسها صباح كل يوم بارادة حديدية. وظلت الابتسامة عل وجهها قناعاً جامداً تجابه به العالم. كانت تهنىء نفسها بأنها تمكنت من أن تخدع معظم الناس، معظم الوقت، لكن ليالي

الأرق انتصرت عليها في النهاية فأحست بالارهاق والتوتر.

وبعد مرور شهر على رحيل كايد لاحظ موريس أخيراً مدى شحوبها فقال:

- اعتقد انك بحاجة الى اجازة طويلة يا كاريسا. وجهك الشاحب يقلقني. لا تهتمي بالعمل. سيكون كل شيء على ما يرام. أستطيع الاهتمام بكل شيء خلال الاسبوعين المقبلين. امضي الى الكوخ الصغير وخذي صديقتك معك...

عندما ذكر موريس الكوخ اضطربت كاريسا وشدّت أصابعها على الدفتر الذي كانت تحمله. حاولت جاهدة ان تسيطر على توترها وهي تقول:

- انا بخير يا موريس. الاسابيع القليلة الماضية كانت حافلة بالعمل. هذا كل شيء!

- كان عليك اخذ اجازة لبضعة أيام بعد انتهاء قضية فرنالد، بدل العودة الى العمل. كان الأمر مرهقاً بالنسبة لك. وهناك شيء آخر، علينا ان نهتم بالاستعدادات اللازمة لحفلة كايد، والانتهاء من كل شيء قبل نهاية الشهر المقبل. استريحي قليلاً وسنهتم بهذا فور عودتك.

- لا.

ونظر اليها موريس مستغرباً:

- ماذا؟

- آسفة يا موريس.

ارادت ان تعلمه بقرارها منذ زمن، لكنها لم تجد الشجاعة الكافية لذلك. ستخبره الآن:

- فكرت ملياً خلال الأسابيع الماضية. لست بحاجة الى اجازة. اريد ان أغيّر عملي تماماً. تعبت من الضغوط المستمرة التي أعاني منها في هذه المهنة سأقدم استقالتي لك يا موريس.

لم يكن ليفاجأ اكثر لو ضربته.

- انت... لكنْ كاري... لا تستطيعين...

- لست مهمة الى هذه الدرجة. ستجد شخصاً آخر.

- لكنك لا تستطيعين.

كررها بعصبية.

- وماذا عن عقد كادير فرنالد؟

حاولت ان تمنع صوتها من الارتجاف وهي تقول:

- ماذا عنه؟ اي شخص يمكن ان يقوم بالترتيبات اللازمة.

- لا. لا. ألم تقرأي العقد؟

وشعرت كاريسا برعشة مفاجئة تسري بسرعة في عروقها:

- لا. لكن ما الفرق؟ سواء قرأته ام لم اقرأه. قراري لن يتغير.

- لا اعرف ماذا جرى بينكما في الكوخ لكن...

- لم يحدث اي شيء يا موريس... لا شيء.

- حسناً. آسف. اعرف انك فتاة تحترم مبادئها يا كاري، لكن كايد أصر على ادخال بند جديد على العقد... اعتقد انه حاول التعرض لك مرة أو مرتين فأوقفته عند حده.. أليس كذلك؟

اجابته ببرود:

- لا تعليق. ما هو البند الذي ادخله كايد على العقد؟

- كتبه بحضورك

قال موريس بحزن قبل ان يتابع قائلا:

- ظننت انك كنت على علم مسبق به. يريد ان ترافقيه في جولته كمساعدة خاصة له. وفي حال لم تنفذ هذا البند سيلغي الرحلة.

وحدّقت به كاريسا وكأنها لا تصدّق ما تسمع:

- لماذا؟

- وكيف لي أن اعرف؟ كنت اظن انك تعرفين السبب!

- قل لمساعدتك الجديدة ان تحلّ مكاني. لا بد ان يرضيه هذا.

- انت تعلمين جيداً يا كاري انه لن يرضى بذلك. أصرّ عليك شخصياً. انت الفتاة التي يريدها!

انت الفتاة التي يريدها. . . رددت أعماقها الكلمات بمرارة. الى متى؟ تساءلت. . . ليلة واحدة؟ الايام التي ستستغرقها الجولة؟ كانت تعرف شيئاً واحداً. كل مشاعر كايد مؤقتة. . . تعطي سعادة عابرة وتترك قلباً كسيراً. لن ترضى بهذا.

- هل تدرك يا موريس ما الذي تطلبه مني؟

تصلّب موريس وكأنه تألم للسؤال:

- انا لا أطلب منك اي شيء يتنافى مع المبادىء. ربما يشعر هذا الرجل بانجذاب نحوك وأنت لا تريدين ذلك. لقد تعاملت مع مثل هذه الحالات من قبل. استطعت ان تبعديه عنك طوال اقامتكما في الكوخ، رغم أنكما كنتما على انفراد. لذا لن تجدي اية صعوبة في تجنبه وسط مدير اعماله والفرقة الموسيقية التي سترافقكما طوال الجولة. أنت تعرفين تماماً انه لا يستطيع أي كان الانفراد بشخص آخر في جولة فنية الا اذا رغب الاثنان في ذلك وعملا على الهروب من كل المحيطين بهما.

- موريس. لا أستطيع. أريد ان أستقيل.

- هل لديك عرض أفضل.

- لا.

- أرجوك اذن، تحمليني بضعة أشهر. خذي اجازة يا كاري. وقومي بالجولة من أجلي، وثم فكري ملياً بأمر استقالتك.

- موريس. لا اظن اني استطيع ان. . .

- كاري لقد وظفت آلاف الدولارات في هذه الجولة. وانت تعرفين فرناندو يعجبني هذا الشخص، لكن لا جدل في انه زبون متطلّب. تعرفين انه سيصر على تلبية رغباته والا فلن ينفذ الاتفاق. هو يستطيع ان يتراجع يا كاري، لكن انا لا استطيع.

وبعد اصرار كبير رضيت كاريسا بالبقاء، وهي تشعر بالخوف والقلق والغضب على نفسها لأنها رغم معرفتها بما تعنيه لها عودة كايد، وجدت قلبها يغني لانه سيراه مجدداً، وسيقضي معه اسابيع

عدّة على الطرقات.

ذهبت الى الكوخ لأن موريس طلب منها ذلك. وهناك حاصرتها الذكريات. استلقت على الرمال وهي تتخيّل كايد أمامها مستلقياً تحت أشعة الشمس، ومن ثم وهو يشدها بيده الدافئة ليدفعها بين الامواج. في البيت سمعت صدى غيتاره وصوته يهمهم بأغنية جديدة. في الليل كانت تحلم به ويتسارع نبضها. وبعد أربعة ايام لم تعد تحتمل المزيد. حزمت حقائبها وسافرت الى شقيقها لتمضي معه ما تبقى من اجازتها.

وعندما عادت أخيراً الى العمل تفحصها موريس جيداً لكنه لم يعلق بأي كلمة، مما جعلها تستنتج بمرارة ان شكلها لم يتحسن. ودافعت عن نفسها قائلة:

- امضيت معظم الاجازة مع كليف شقيقي. انه يعيش حياة اجتماعية نشطة، وله الكثير من الاصدقاء.

- كان من المفروض ان تستريحي.

زمجر عالياً، لكنها أحست انه ارتاح لجوابها فقالت:

- يقولون ان التغيير مفيد. والآن ماذا تريد ان افعل اليوم؟

وأغرقها موريس بالعمل فلم تشعر بالاسابيع القليلة التي مرت بسرعة. ومن الغريب انها كانت تتعامل مع «جولة فرناندو» وكأنها أمر عادي. دربت نفسها على عدم التصرف بحساسية. ومع الوقت استطاعت ان تطلع على اسمه وصوره في الجرائد بدون ان ترتعد كورقة خريفية.

كان موريس ينفق الكثير في الاعلان عن الجولة، مركزاً على ندرة الحفلات الحية التي يقدمها كاديز فرناندو.

وعندما حجزت كاريسا مكاناً لكايد في الفندق لاحظت انه طلب لنفسه شقة بغرفتي نوم. لا بد انه ما يزال يفضل ان يكون جاك قريباً منه رغم انه استعاد بصره. وكان هناك شخص ثالث ايضاً في غرفة منفردة.

وحاولت كاريسا جاهدة ان تجد عذراً لعدم الذهاب لاستقبال كايد. وعندما جاء اخيراً يوم وصوله اصر موريس على حضورها. كان بحاجة لها قربه لاتمام التدابير اللازمة لنقل كايد من الطائرة الى غرفة الشخصيات المهمة، حيث سيجري مقابلة تلفزيونية يتوجه بعدها الى الفندق.

كان اللقاء اسهل مما توقعت. كان موريس يشد بحرارة على يد كايد عندما استراحت العينان السوداوان عليها بسرعة، ولاحظت انه يبدو مرتاحاً وسعيداً.

ابتسمت لجاك بتنون وهي تتساءل ان كان عرفها، او ان كان كايد قد ذكره بليلة ما قبل ثماني سنوات. ورغماً عنها احمرت وجنتاها خجلاً.

التفت كايد وابتسم لشخص ما يقف وراءه ومن ثم مدّ يده مشيراً لها بالتقدم. فعرفت كاريسا ان السيدة الجميلة، السوداء الشعر... ترافقه. قيل لها ان تحجز شقة لشخصين، وغرفة نوم مفردة، لكنها ظنت ان الشخص الثالث قد يكون مساعداً لجاك او ربما المشرف على المعدات الفنية. الآن وهي ترى كايد يضع ذراعه حول الفتاة الغريبة، ونوعية الابتسامة التي خصته بها بنعومة وخجل، بدأ قلبها يقفز بسرعة.

والتفت كايد الى كاريسا مبتسماً وهو يقول:

ـ هذه ريتا. هي تخجل من مواجهة رجال الصحافة. هل تهتمين بها عني؟

وتساءلت كاريسا عما اذا كانت ابتسامتها بالبرودة التي تجمد احشاءها. وعفوياً مدت يدها فأحست بقبضة رفيعة ناعمة تلمس اصابعها. وجاء احد موظفي المطار ليرافقهم الى غرفة الشخصيات المهمة. كايد وموريس سارا في المقدمة، وجاك والمرأتين وراءهما. وظنت كاريسا ان مهمتها هي ابعاد ريتا عن رجال الصحافة، ولذا رافقتها بهدوء الى زاوية بعيدة من الغرفة حتى ينتهي كايد من المقابلة.

وكان من المفروض بكاريسا أن تحاول الترفيه عن ضيفتها بحديث سطحي، لكنها ظلت لدقائق، عاجزة عن النطق. ويبدو ان ريتا لم تهتم للأمر. كان نظرها مركزاً على كايد وعيناها تشعان فخراً وحباً. ارادت ان تقول لها كاريسا «لا تحبيه الى هذه الدرجة»، لكنها عرفت ان اية محاولة من جانبها ستفشل. من الصعب اقناع المحب بتغيير رأيه في الانسان الذي يحب، فكيف اذا كان هذا الانسان هو كايد! ونظرت اليه مسترخياً في مقعده وهو يجيب على الاسئلة بمرح جعل محدثه يضحك بين حين وآخر.

وحتى لا يفضحها وجهها، كما حدث مع ريتا، ابعدت كاريسا عينيها عن كايد لتركزهما على الفتاة. لم تكن ريتا بالشباب الذي اعتقدته كاريسا للوهلة الاولى. كانت هناك خطوط رفيعة في زاويتي عينيها، ولم تكن يداها بنعومة يدي الفتاة الشابة. عندما تبتسم كانت تبدو في غاية الرقة، لكن عندما حولت نظرها عن كايد لتبحث في حقيبتها عن سيكارة، ارتدى فمها طابعاً قاسياً ينم عن شخصية لم تعرف حياة سهلة. ورغم شعرها المتناثر بشكل خصلات سوداء، وثيابها الانيقة، ورشاقتها، لم تكن ريتا فتاة شابة بل امرأة ناضجة... اكبر منها بكثير، لاحظت كاريسا فجأة. الآن وهي تضع سيكارتها بين شفتيها... وهي تنفث الدخان بشره المدمنين، وعندما وضعت ساقاً فوق ساق، بدت متكلفة وشديدة الثقة بنفسها. مع كايد فقط، لاحظت كاريسا ان هذه المرأة تبدو ضعيفة.

كانت تضع في يدها خاتم زواج جعل كاريسا ترتجف عند رؤيته. جمعت اصابعها بعصبية وهي تتذكر الخاتم الذي اعطاها اياه كايد قائلاً انه كان يخص والدته. ولم تعرف الا متأخرة سبب لامبالاته الغاضبة بقيمته العاطفية. لم يكن لوالدته... اختاره جاك من احد المحلات الرخيصة ليماشي احدى قصصه المختلقة عن كاديز فرناند. تساءلت: هل شك جاك ولو قليلاً كم اساء الى كايد بهذا. وتساءلت كيف تعرف هي ذلك. لكنها تعرف المرارة الساخرة التي

أبداها تجاه الخاتم اظهرت بوضوح عمق الجرح. انها طريقة كايد لاخفاء شعوره.

هل اعطى خاتماً الى ريتا أيضاً؟ ام ان الخاتم هو رمز حب من رجل آخر؟ قال كايد ان ريتا تخشى الناس. لكن لا يبدو عليها انها من النوع الذي يزعجه كلام الناس. ها هي تسافر برفقة كايد... الا اذا كانت متزوجة من رجل آخر.

«زوجات الرجال الآخرين» وللمرة الاولى خطر ببال كاريسا ان كايد ربما اتى بريتا ليضايقها هي شخصياً. لماذا أصرّ اذن على ان ترافقه في جولته الموسيقية. وثم قدمها بهدوء الى هذه المرأة التي هي بالتأكيد رفيقة الساعة؟ هل تصرّف هكذا ليحرجها؟ ام انه ببساطة التقى بريتا وطلب منها ان ترافقه بدون ان يفكر في الفتاة التي تنتظره في نيوزيلندا.

وأحست كاريسا ان ريتا تراقبها عبر سحابة الدخان الازرق المتصاعد على شكل حلقات. وقالت ريتا اخيراً:

- أخبرني كايد انه امضى معك بعض الوقت خلال اقامته.

اجابتها كاريسا بحذر:

- هل قال ذلك؟

وابتسمت ريتا ابتسامة ساحرة:

- لم يخبرني كثيراً. قال انك ذكية، وماهرة في عملك، وهادئة. لا ادري لماذا تصورتك اكبر سناً، وبصراحة سكرتيرة قاسية القلب. كان علي ان اعرف.

- ماذا كان عليك ان تعرفي؟

وبرقة اجابت ريتا:

- ربما لا يجدر بي التحدث هكذا؟ آسفة. لم ارافق كايد الا من فترة بسيطة. يهمني ان اعرف اكثر عنه. ماذا كان يفعل؟ من هم الناس الذين كان يعاشرهم قبل ان...

وقاطعهما جاك الذي اقترب منهما ليخبرهما بانتهاء المقابلة، وان امامهما ساعة ونصف فقط للعودة الى الفندق والاستعداد للمؤتمر الصحفي الذي نظمه موريس وكاريسا هناك لاستقبال كايد. واضاف جاك موجهاً كلامه الى ريتا:

- كايد يريدك ان تذهبي معه.

كانت هناك سيارتان بانتظارهما.

ابتعدت كاريسا عن ريتا عندما فتح لها كايد باب السيارة الثانية، وعندما التفت ليبحث عنها رآها تصعد في السيارة الاخرى مع موريس. ورآته يبتسم لريتا. وعندما انطلقت السيارتان قال جاك:

- كايد قال انه سيكتب لك شخصياً للاشراف على حجز غرفة ريتا. فعلت ذلك اليس كذلك؟

لم تسمعه كاريسا، لكن موريس لفت انتباهها برقة قائلاً:

- كاري، جاك يسألك عما اذا كنت حجزت غرفة لريتا.

اجابته بحزن:

- نعم جاك. كل شيء كما طلب كايد. شقة كبيرة، وغرفة منفردة في كل فندق سننزل فيه.

- حسناً. فاجأك كايد برسالته اليس كذلك؟ اعترف ان الامر كله فاجأني ايضاً. لا يمكنك ان تتصوري التغيير الذي حصل في شخصية كايد منذ التقى ريتا.

كم كانت كاريسا تتمنى لو يكف جاك عن الحديث. اشاحت بوجهها عنه لتتابع الاشجار التي كانت تركض خارج السيارة في الاتجاه المعاكس. لكن موريس كان اكثر فضولية:

- من اي ناحية غيرته؟

توقف جاك قليلاً قبل ان يجيب قائلاً:

- حسناً... اعرف كايد منذ زمن طويل. انه شخص عظيم، فنان رائع، وصديق مخلص. لكنه كان حاد الطباع. عندما يكون في مزاج معين عليك ان تزن تصرفاتك معه.

علق موريس قائلاً:

- انه شخصية قاسية.

وافقه جاك بهزة رأس:

- نعم. نعم. لا شك انه انسان طيب، لكنه حاد بعض الاحيان. مع ريتا، الأمر يختلف تماماً. معها يصبح في غاية الطيبة والحنان. اعتقد انه لم يجد قبل الآن انساناً يهتم به فعلاً، انه لا يدعها تغيب عن نظره، حتى يكاد المرء يعتقد انها مصنوعة من زجاج شفاف قابل للكسر عند ادنى لمسة. وهذا وصف لا ينطبق عليها. ريتا عرفت حياة حافلة. في الواقع لم اكن متحمساً لفكرة وجودها معنا. . . فتاة لها هذا الماضي. لكنه اصر على ذلك، وكما تعرفان لا يستطيع احد معارضته. ربما، من جهة اخرى، سيكون لوجودها دعاية طيبة. وقد يركز الصحفيون على الناحية الرومنطيقية في الموضوع. كايد وجدها تعمل في مقهى متواضع. . . لكن هناك زوجها السابق. . . لا تريده ان يعرف مكانها.

وتوقف جاك قليلاً قبل ان يتابع:

- ارجوكما ان تحفظا هذا الموضوع سراً. ريتا فتاة عظيمة لا اريد ان اؤذيها. كايد قد يقتلني. لن تستغلا هذه المعلومات أليس كذلك؟

واكد له موريس انهما لن يفعلا. العقد يعني له الكثير وهو لا يريد ان يخاطر بفقدانه. عندما توقفت السيارة اخيراً امام الفندق قالت كاريسا:

- موريس. هل تمانع بأن اذهب الآن؟ لن تحتاجي ثانية هذا النهار، هناك الكثير من الترتيبات التي يجب ان اشرف عليها قبل بدء الجولة الفنية.

وبدون حماس وافق موريس اخيراً، فعادت الى المكتب لتنهي بعض الأمور الثانوية. لم يكن صحيحاً انه ما زال هناك الكثير من العمل، لكنها اختلقت ما يشغلها لتبعد ذهنها عما حدث، ومن ثم ذهبت الى البيت.

كايد سيقدم حفلة موسيقية في اوكلاند مساء اليوم التالي، وحفلتين في نهاية الجولة. وسيقوم غداً باجراء التمارين النهائية مع الفرقة الموسيقية المؤلفة بمعظمها من فنانين محليين.

لم تكن اذن بحاجة الى رؤيته في اليوم التالي. تناولت مسكناً للصداع واستلقت على فراشها وهي تضع يديها على عينيها. لا تستطيع الذهاب معه في الجولة. . . لم تعد تستطيع ذلك.

ومن المرجح انه لم يعد يريدها ان تذهب كذلك. لديه ريتا الآن، وكما تبينت من كلام جاك يبدو انها فتاة مميزة. من الواضح ان اي فتاة اخرى ممن يعرفهن لم تؤثر عليه كما تفعل ريتا. للمرة الأولى يهتم باحد غير نفسه الى هذه الدرجة. كان عليها ان تكون سعيدة من اجله. لانه وجد الحب اخيراً، لكنها لم تشعر بأي شيء. . . سوى انها خاوية في اعماقها. لماذا لم تكن هي الفتاة التي اختارها كايد؟

وفي اليوم التالي عملت كاريسا في المكتب طوال النهار. كان عليها ان تذهب الى الحفلة في المساء لكنها اعتذرت عن ذلك. قالت لموريس انها تعاني من صداع ولذا عليها ان تذهب باكراً الى الفراش لتكون على استعداد تام للجولة التي ستبدأ صباح اليوم التالي. لكنها كانت تعرف جيداً انها لن تكون على متن الطائرة التي ستقلهم جميعاً الى مدينة ويلينغتون.

وصباح اليوم التالي اتصلت كاريسا بموريس قبل دقائق من الموعد الذي اتفقا عليه قائلة:

- موريس اسفة لا استطيع المجيء. حالتي الصحية ساءت كثيراً خلال الليل. اطلب من ساندرا ان تحل مكاني. عندما اتغلب على تعبي سأذهب الى المكتب للاشراف على كل الامور.

وعندما استوعب موريس اخيراً انها تقول له بانها لن تستطيع مرافقته في الجولة قال:

- هل استشرت الطبيب؟ ماذا قال؟ انفلونزا؟

اجابت بحذر:

- نعم. آسفة موريس، اعرف انني اضعك في مأزق لكن...
- مأزق! كايد...
- سيكون مرتاحاً. عندما كتب كايد ذلك البند، تغيرت الكثير من الأمور.
- ربما، لكنني ما زلت اعتقد انه سيغضب.
اجابت كاريسا بعصبية:
- فليغضب اذن. لا يستطيع ان يفعل شيئاً بهذا الصدد. وهو لا يستطيع بأي حال ان يلقي اللوم عليك. سأعود الى المكتب في اقرب فرصة ممكنة، لكني لن ارافقكم في الجولة.
ولم ترتدي كاريسا ملابسها، لانها خشيت ان يمر بها موريس للاطمئنان على صحتها.
شغلت نفسها بتسريح شعرها بعد غسله. جربت عدة تسريحات لكن اصابعها كانت ترتجف. وفي النهاية تركته حراً يسدل على كتفيها.
كانت عقارب الساعة تتحرك ببطء باتجاه وقت الاقلاع. احست باعصابها تتوتر لدرجة الانفجار.
اخذت ترتب البيت، ومن ثم جلست تقرأ مجلة اشترتها صديقتها في اليوم السابق.
ما زال هناك ساعة لوقت الاقلاع. ذهبت لتصنع لنفسها فنجاناً من الشاي، وعندما اخرجت الحليب من الثلاجة لاحظت انها تحتاج الى تنظيف. لم تكن تريد فعلاً ان تشرب الشاي، لكن هذه العملية ستستغرق بضع دقائق اخرى.
شربت الشاي ببطء ثم نهضت لتنظف الثلاجة. افرغتها من محتوياتها، ووضعت اناء من المياه الساخنة داخلها، ثم ركعت على ركبتيها لتبدأ بتنظيف الرفوف.
قرع جرس الباب، ظلت في مكانها لحظات طويلة قبل ان تحدق في الساعة. انه وقت الاقلاع تماماً. لتشعر بامان الآن.

مشت ببطء الى الباب الخارجي واغلقت وراءها باب المطبخ.
دخل كايد غرفة الجلوس. شحبت للمفاجأة. ولا بد ان لونها تغير لأن كايد نظر اليها متفحصاً قبل ان يقول:
- ربما كنت مريضة فعلاً. لم اصدق موريس عندما اخبرني بذلك.
- كان من المفروض ان تكون في الطائرة. ماذا تفعل هنا؟
- جئت لاصطحبك معي، كان من المفروض ان تكوني انت ايضاً على الطائرة ذاتها.
- لكن موريس اخبرك ان...
- نعم عندما وصلنا المطار. هل طلبت منه ان لا يخبرني عن غيابك الا بعد فوات الأوان؟
- لا.
- يبدو انك استعدت عافيتك بسرعة.
واقترب منها بسرعة ليضع يده على جبينها:
- انفلونزا اليس كذلك؟ حرارتك عادية. وعينيك صافيتين، وصوتك طبيعي. لماذا لا تريدين مرافقتي؟
- انت لا تريدني فعلاً ان ارافقك...
- دعيني اقرر شخصياً ما اريد.
- يا ليتك تعاملني بالمثل.
قالتها بمرارة قبل ان تضيف:
- حسناً، لست اعاني من الانفلونزا. لكني اشعر بارهاق.
- هل تناولت طعام الفطور هذا الصباح؟
هزت رأسها بالنفي:
- لا. تناولت فنجاناً من الشاي فقط.
التفت حوله ثم فتح باب المطبخ:
- هذا هو المطبخ. اليس كذلك؟
ونظر اليها مبتسماً:
- سأحضر لك شيئاً تأكلينه.

ولاحظ النظرة المذنبة في عينيها، فالتفت مجدداً الى المطبخ ليرى باب الثلاجة مفتوحاً ومحتوياتها على مائدة الطعام. فقال ساخراً:
- هل تقررين تنظيف المنزل كلما شعرت بالارهاق؟
اجابته بتعب:
- الثلاجة بحاجة... آه دعني لوحدي.
- سأنظف كل هذا، واعد لك شيئاً من الطعام بينما تحزمين حقائبك.
قالها بهدوء لكن بحزم:
- اسرعي الكل بانتظارنا.
وبعد لحظات استسلمت للأمر. لا تدري لماذا يصر الى هذه الدرجة على اصطحابها. لكنها عاجزة، لا تملك القدرة على مقاومته.
حزمت حقائبها بسرعة. كانت معتادة على السفر. تناولت الفطور الذي اعده لها بمهارة. وبينما كانت تشرب الشاي قال لها:
- جاك اخبرني انه كلمك عن ريتا. كنت انوي ان افعل ذلك بنفسي.
ارتعشت وهي تدعي اللامبالاة.
- لا يهمني. لا علاقة لي بالأمر. انا اقوم بالحجز فقط.
عرفت ان كلماتها اغضبته واحست بالتوتر في صوته وهو يقول:
- لا يهمك الأمر؟
- لا.
وضعت فنجانها على الطاولة ونهضت من مكانها.
- مشكلتك، انك معتاد على اخذ كل ما تريده، خاصة من بين النساء المعجبات اللواتي يحطن بك. كنت اظن ان هذا يكفيك. لماذا تريد ان تجرني وراءك في هذه الجولة المخيفة؟
عض على شفتيه وهو يقول:
- من اجل ريتا. ستكون المرأة الوحيدة في الفرقة ان لم ترافقينا. هي بحاجة الى رفقة انثوية.

ضحكت كاريسا ساخرة:
- يا الهي. هل تريد ان تقول ان امرأة بنوعية ريتا تحتاج الى رعاية؟
ولم تكن كاريسا تتوقع ابداً الصفعة التي انهالت على خدها بقسوة افقدتها توازنها، فكادت تسقط ارضاً لو لم تستند الى الطاولة القريبة. حدقت به وهي تكاد لا تصدق ما حصل لها. هل فعلاً صفعها؟
كان يبدو هو ايضاً شاحباً، وغاضباً. عيناه تلمعان ببريق مخيف. واجابها:
- قولي ما تريدين عني، لكن ابعدي سموم لسانك عن ريتا. هل فهمت؟
وشعرت انها ارتكبت حماقة بقولها هذا. بلعت ريقها وهي تحاول ان تفهمه انها لم تقصد ما قالت... ان تعتذر. لكن الدموع التي كانت تتساقط من عينيها احتبست في حلقها فلم تعد تقوى على الكلام. ماذا تفعل؟
حاولت جاهدة السيطرة على دموعها، وجاءها صوت كايد آمراً:
- احضري اشياءك.
وكالعمياء تحسست طريقها الى غرفة النوم. حملت حقائبها، وعادت وهي شبه مذهولة. جلسا في سيارة الأجرة بصمت تام. لم ينبسا بكلمة واحدة طوال الطريق الى المطار. وقبل وصولهما بقليل ألقت كاريسا نظرة سريعة في مرآتها. كان خدها ما يزال يؤلمها، لكن الصفعة لم تترك اي اثر عليه. كانت تبدو في غاية الشحوب... والهدوء. احست بالرضى لأن مشاعرها لم تفضحها.
كان موريس في انتظارها. رأت على وجهه نظرة تعجب تلاها تعبير قلق وانزعاج. قبلها على خدها محيياً.
والقى نظرة فضول على وجه كايد المتجهم. سألها هامساً:
- هل انت على ما يرام؟ ماذا حصل بينكما؟
حاولت ان تبتسم لكن فمها رفض ان يطاوعها. اجابت:
- السيد فرناند يحرص دائماً على الحصول على ما يريد. اصر على

اتمام العقد بكل بنوده حرفيا

نظر اليها موريس بعطف

- ان كنت مريضة فعلاً يا كاري سأكلمه. لا يستطيع الاصرار... يبدو انه يظن انك تخدعينه.

اجابته بتعب:

- لا تخشى شيئاً يا موريس. سيصر على احضار الطبيب الذي لا بد وان يقول اني لا اشكو من شيء، عندها سيلاحقك كايد قانونياً، او يتخلى عن الجولة. لا تقلق... سأعيش. اهتم بالمكتب اثناء غيابي.

وتركته واقفاً مكانه، لتمر امام كايد بدون ان تلقي عليه نظرة واحدة وتصعد الى الطائرة. لم يكن موريس وحده حائراً مستغرباً. لا بد ان ريتا تتساءل ايضاً...

كان جاك يجلس قرب النافذة. القت بنفسها قربه، وهي تراقب كايد يسرع الى جوار ريتا ليجلس بجانبها. وانقبض قلب كاريسا وهي تراقب ريتا تتكلم بسرعة وبهمس، والابتسامة الساخرة التي ارتسمت على وجه كايد وهو يجيبها باقتضاب. ولاحظت كاريسا اتساع عيني ريتا والألم الذي ارتسم فيهما قبل ان تشيح بوجهها عنه لتنظر من النافذة.

وتحركت الطائرة. كايد انسان اناني... وحش قاس لا قلب له. هكذا كانت تفكر كاريسا.

اغمضت عينيها وتظاهرت بالنوم حتى هبطوا في ويلينغتون. وعندما وصلوا الى الفندق اخيراً حجزت كاريسا غرفة صغيرة لنفسها. كم تشعر بحاجة الى الابتعاد عن الاخرين. اقتربت من مجموعة الحقائب في الردهة لتأخذ حقيبتها. وبينما هي تبحث عنها توقفت عند اسم ريتا فرانكلين مكتوباً على ثلاث حقائب جلدية انيقة زرقاء اللون.

اخذت حقيبتها وشكرت المسؤول عن الامتعة. صعدت الى

غرفتها. وعندما اقفلت الباب وراءها ارتجفت اوصالها وهي تفكر بالاسم المكتوب على الحقائب الزرقاء.

ريتا فرانكلين... فرانكلين هو الاسم الذي يستخدمه كايد عندما يريد ان يخفي هويته الحقيقية عن الناس... ومن المرجح انه اسمه الحقيقي. حاولت كاريسا ان تبعد عن ذهنها التفسير المنطقي الوحيد الذي فرض نفسه على تفكيرها. وتدريجياً اخذت تدرس كل الاحتمالات. فرانكلين هو اسم الشهرة الحقيقي لكايد.

وريتا تسافر تحت الاسم ذاته. من غير المنطقي ان تكون فعلت ذلك لابعاد الشبهات عنها. امرأة كريتا لا تأبه بكلام الناس. ومن جهة ثانية، القانون يعاقب اي شخص يسافر بجواز سفر مزور لا يحمل اسمه الحقيقي... أليس كذلك؟

ريتا فرانكلين... السيدة ريتا فرانكلين طبعاً... انها زوجته... كايد تزوج.

وقفت قرب النافذة تحدق في المياه الرمادية وهي تحاول ارغام نفسها على عدم التفكير بأي شيء. سمعت طرقة خفيفة على الباب. مسحت دموعها قبل ان تفتح الباب... لريتا. وبدا الاهتمام على وجه المرأة وهي تقول:

- ارسلني كايد لأرى ان كنت تحتاجين شيئاً. ما بك؟

- لا شيء. انا بخير.

وبعد دقائق صمت قالت ريتا:

- كايد يتصرف احياناً بوحشية... حتى معي. انه لا يستطيع ان يقرر ان كنت فعلاً مريضة ام انك تتظاهرين بذلك. كان في غاية الغضب عندما ذهب ليجيء بك، وكاد يؤذيني بلسانه الساخر عندما قلت له انه عاملك بقسوة. معظم الاحيان هو في غاية الطيبة معي، واستطيع ان احتمل مزاجيته. تحملت اكثر من هذا بكثير من زوجي السابق، لكنك لست بالقوة التي...

- الأمر لا يتعلق بكايد. كنت انظر من النافذة وتذكرت شيئاً

محزناً.

ولم تصدقها ريتا وان تظاهرت بعكس ذلك. اقتربت منها قائلة:

- كايد يقيم حفلة كبيرة في شقته. لماذا لا تذهبين معي وتمرحين قليلاً؟

ترددت كاريسا فقالت ريتا:

- هيا يا عزيزتي. اغسلي وجهك وضعي قليلاً من مساحيق التجميل. ستشعرين بتحسن بعد ذلك.

وامتثلت كاريسا لنصيحتها. لن يفيدها البقاء وحيدة، سجينة الجدران، وسجينة وحدتها والمها. الاختلاط بالناس سيبعد ذهنها عن معاناتها.

وذهبتا معاً الى شقة كايد. كانت غرفة الاستقبال تعج بشباب الفرقة. جلس بعضهم ارضاً، وتفرق الآخرون على المقاعد المريحة. كان كايد يقف في الزاوية المقابلة، وعندما رآها ابتسم بحنان وسعادة. هكذا ينظر اذن الى ريتا، همست كاريسا لنفسها بألم وهي تدخل المكان بتردد. اقترب منها كايد والابتسامة الرقيقة ما تزال تتراقص على شفتيه. نظر الى كاريسا قائلاً:

- هل تشعرين بتحسن؟

- نعم. صحتي افضل بكثير. شكراً.

وحدق فيها باهتمام وكأنه يحاول ان يخترق الحاجز الذي وضعته بينهما ليدخل الى اعماقها، ويعرف الاحاسيس التي تتفاعل داخلها. وناداه شخص ما فالتفت اليه.

اقترب منها احد اعضاء الفرقة. شاب لم تكن تعرفه جيداً. حياها بمودة وجلس على الارض قرب قدميها يحدثها بحرية، بينما كانت ريتا تتبادل الكلام مع جاك بتون ورجل آخر لا تعرفه.

وبدأ شاب ما بالعزف على الغيتار وارتفعت بضعة اصوات باغية مرحة. اقنعها رفيقها بان ترقص معه، ودعى شخص آخر ريتا.

وتوقف الرقص عندما قرع جرس العشاء، وقادها الشاب الى

غرفة الطعام حيث اختار طاولة لا تسع الا الى شخصين فقط. واحست كاريسا بسعادة لاهتمامه بها. من الواضح انه كان يحاول ان يجذبها اليه... ولم تمانع هي محاولاته. اي شيء يبعدها عن دائرة كايد ترحب به في الوقت الحالي.

وحاولت كاريسا تجنب النظر الى الطاولة التي كان يجلس اليها كايد وريتا. ركزت كل اهتمامها على الشاب الجالس امامها. وفور انتهاء العشاء استأذنت بالذهاب الى فراشها.

ولم تكد تصل الى غرفتها حتى كان كايد وراءها. حاولت ان تغلق الباب بسرعة لتمنع دخوله. لكنه كان اسرع منها اذ دفع الباب بشدة ودخل الغرفة وهو يقول:

- تأخرت يا عزيزتي.

واغلق الباب وراءه بالمفتاح. احتجت كاريسا على تصرفه هذا.

- لا اذكر اني دعوتك الى غرفتي.

- اريد ان اكلمك. يبدو انك استرجعت عافيتك بسرعة.

احمرت وجنتاها ببريق وردي مشرق، ولمعت عيناها ببريق ساخر.

- العلاج كان مفيداً.

كانت تقصد الصفعة التي وجهها لها صباح اليوم، واصراره على اصطحابها معه على الطائرة. لكنه اساء فهم عبارتها.

- آه، نعم. لمسات الشاب الذي كان برفقتك، وكلماته المعسولة كانت كافية لاسترجاع عافيتك!

لم يلمسها الشاب. صحيح انه حاول الامساك بيدها لكنها سحبتها منه بسرعة. وكادت تنكر اتهامه بشدة ثم تراجعت عن ذلك في اللحظة الاخيرة. الطريقة المثلى لاقناع اي رجل بانه لا يحوز على اهتمامك، هي التظاهر بالاهتمام برجل آخر. ابتسمت بغموض وتركته يظن ما يشاء.

ويبدو ان موقفها هذا لم يرق لكايد الذي لوى شفتيه بغضب. وساد الصمت بينهما فقطعته كاريسا قائلة:

- ماذا تريد يا سيد فرناند؟ اية خدمة؟

كان عليها ان تشعر بالخطر عندما رأت البريق الحاد الذي يلمع في عينيه. لكنها تجاهلته مرة اخرى. امسك بكتفيها واخذ يهزها بقوة وعنف حتى كادت تصرخ من الألم. وفجأة حاول عناقها، فقاومته بضراوة.

- كايد، ارجوك، لا.

- هذا سيعلمك ان لا تناديني بالسيد فرناند مرة اخرى.

- لا، لا. ارجوك. قلت بانك جئت لتكلمني.

- لا. لان كل احاديثنا تنتهي بعراك.

وحاول مجدداً، فكررت بنعومة هذه المرة:

- اخبرني اولاً. ماذا كنت تريد ان تقول؟

- كنت اريد ان اتكلم عني وعنك، وعن ريتا.

- ريتا. نعم علينا ان نتحدث عن ريتا.

وفجأة احست بالخجل لوجوده معها في غرفتها.

وعاد كايد يحضنها.

- لا. ليس الآن. لا اريد ان اتحدث عن احد الآن... ولا حتى عن ريتا.

بهذه السهولة اذن هو مستعد لأن يخون ريتا. وهي! كيف سمحت له بأن يعانقها.

وصرخت في وجهه:

- ابتعد عني. انت رجل حقير.

- ما بك ترفضينني. لم تمانعي من قبل؟

واحست بالدموع تكاد تخنقها، فلاحظ اضطرابها:

- اسف. لم اكن انوي ازعاجك. اخطأت عندما فرضت عليك المجيء معي. لكنني اردتك بقربي، وعندما لم اجدك جننت.

فأجابته بمرارة:

- دائماً تغضب عندما لا تستطيع الحصول على كل ما تريد.

لم يجبها، لكنها احست بيديه تمسكانها بحنان. ثم همس في اذنها:

- عندما تركتك اخر مرة، كنت آمل ان استطيع نسيانك قبل عودتي. وجودك معي كان الامتحان الذي فرضته على نفسي لاختبر عواطفي و...

وتردد كايد، فسألته بفضول:

- و... ماذا؟

- قبل ان نفترق قلت لي بانني لا اعني لك شيئاً، واكدت ذلك هذا الصباح، لكنني اعرف انك ما زلت تحملين عاطفة ما لي. لا تستطيعين انكار ذلك. وانا ما زلت اريدك.

- مؤقتاً.

وشد قبضته عليها وكأنه يريد ان يهزها.

- اسمعي. انسي كل ما قلته لك سابقاً. معك بدأت اعرف معنى الحب. اكتشفت احاسيساً لم اكن اعرفها. واحياناً يشعرني هذا بالألم. وعندما اتألم اتعمد ايذاء الغير. لكنني احاول الآن ان اسيطر على طبيعتي هذه، خاصة منذ وجدت ريتا. اريد ان اجنبها كل الآلام التي عرفتها حتى الآن.

- كيف تستطيع اذن ان...

- لم اقل انني رجل مثالي، قلت لك انني احاول. ريتا وانا امضينا فترة طويلة بدون انتباه الى اي شخص.

وهمست كاريسا بألم:

- اذا كان بامكانها اسعادك، فهذا يفرحني.

- طبعاً تستطيع اسعادي. لكنها لن تتمكن من اعطائي نوع الاحاسيس التي اريد.

- لكنها تحبك.

- الامر يختلف تعرفين ذلك جيداً. اخذت وقتاً طويلاً للتفكير قبل ان اقرر الزواج، كاريسا، حتى عندما تركتك لم اكن افكر بالأمر جدياً رغم انني كنت اعرف جيداً ان امراً مهماً حدث في حياتي، لا استطيع

الهروب منه. ربما كان لها الفضل في اعادة تقييمي للامور، وساعدتني على ان افهم ان الحب ليس مجرد علاقة عابرة. لقد اعطينا بعضنا الكثير خلال الاشهر الماضية. لكن هذا ليس كافياً يا كاريسا. لم اكن مستعداً لأن اقول هذا قبل اليوم. لكن آن الأوان لاعترف بحقيقة شعوري، انا احبك... احبك.

واتسعت عيناها وهي تحدق به. واحست بالألم يمزقها، وهي ترى البريق الرائع في عينيه.

- لكن كايد... جئت متأخراً.

ورأته يبلع ريقه بصعوبة وهو يعض على شفتيه. فكررت:

- تأخرت يا كايد. آسفة. عليك ان تكتفي بما تستطيع ريتا منحك اياه.

لا تريد ان تؤذي ريتا. كفاها ما فعل بها الدهر. وكايد ايضاً لا يحق له ان يؤذيها، ولا يستطيع ايضاً ان يحتفظ بهما معاً. هذا سيفسد حياتهم جميعاً.

صحيح انها لن تتوقف عن حبه، لكنها لا تستطيع الا ان تعترف بانه ما زال انساناً انانياً.

القى كايد يديه بتثاقل على جانبيه، وانطفأ البريق في عينيه. ولم ينظر اليها وهو يغلق باب الغرفة وراءه.

١٠ - العمر يبدأ الآن

لم يكن من الصعب، صباح اليوم التالي ان تتجنب الانفراد بكايد. كان من الواضح تماماً انه يحاول هو ايضاً عدم توجيه اي كلمة لها. كان يبدو قلقاً وعصبي المزاج وكأنه يحاول جاهداً السيطرة على اعصابه. لكنها لم تسمعه يرفع صوته بحدة او يتحدث بلهجة ساخرة.

في فترة بعد الظهر ذهب الرجال للاشراف على الترتيبات النهائية قبل الحفلة. واعلنت كاريسا عزمها البقاء في المنزل لغسل شعرها، فعرضت عليها ريتا ان تساعدها في تصفيفه. ورغم رفض كاريسا العرض اصرت قائلة:

- ارجوك انا بحاجة لأن افعل اي شيء يشغلني.

جلست كاريسا امام طاولة الزينة في غرفة نومها واسلمت رأسها الى ريتا التي اخذت تسرح لها شعرها برقة واهتمام، وهي تتنهد قائلة:

- في مراهقتي كنت احلم في ان اصبح في يوم من الأيام مصففة للشعر. كان هذا قبل ان اهرب من البيت واصبح... شيئاً اخر.

ورفعت حاجبيها بلا مبالاة وهي تسأل كاريسا:

- اعتقد ان كايد اخبرك كل شيء عني!

- لا. لم يخبرني شيئاً. كل ما قاله انك جعلت منه انساناً سعيداً. جاك تكلم عنك قليلاً... هل يزعجك ذلك؟

- لا. اتضايق احياناً من اجل كايد فقط. لست فخورة بما كنته سابقاً، لكن كما يقول كايد، كنت صغيرة وجائعة ووحيدة ومرفوضة. ماذا كان باستطاعتي ان افعل غير ذلك؟ كم كنت اتمنى لو تفهم جوني وضعي!

- جوني؟

- زوجي السابق. كان علي ان اخبره بماضي... لكنني لم افعل. خفت من نتيجة ذلك. لكن الله يشهد انني لم اخدعه مرة واحدة بعد زواجي به. حتى عندما بدأ يضربني باستمرار ويسرق مني كل ما املك من مال.

- آه يا ريتا. لماذا؟

- لا ادري قال انه التقى بشخص ما اخبره عن سيرتي الماضية. لكنني اعتقد انه كان سيختلق حجة اخرى لضربي في اي حال. هو من ذلك النوع من الرجال. لو لم اكن يائسة من ان اجد لنفسي حياة كريمة بعد حياة الذل والبؤس التي عشتها سنوات عشر لما كنت اقدمت على الزواج منه، ولكنت عرفت انه ليس الرجل او الزوج المناسب لي. اعتقد انني استخدمته بطريقة ما لاخرج من ماضي القذر. وبعد اربع سنوات من العذاب لم اعد اطيق الحياة معه. خرجت من البيت بالثياب التي كنت ارتديها ولم احمل معي شيئاً...

تركت له كل ما املك وهربت. الحمدلله انني لم انجب منه اولاداً.

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

والتقت عيناهما بسرعة في المرآة قبل ان تضع ريتا المشط جانباً وتمسك بمجفف الشعر وتتابع حديثها قائلة:

- عدت الى المهنة الوحيدة التي اعرف... عدت الى سيرتي السابقة.

- هل... كنت تمارسين العمل ذاته عندما التقى بك كايد؟

- لا. الحمد لله. كنت قد وفرت قليلاً من المال واستأجرت مكاناً محترماً اعيش فيه. لم يكن شيئاً يذكر... غرفة بسيطة. وبدأت العمل كمضيفة في مطعم متواضع. صحيح ان الراتب كان ضئيلاً، لكنني كنت سعيدة لانني وجدت عملاً لا يمتهن كرامتي... او ما تبقى منها. كنت امارس مهنة شريفة عندما عثر علي كايد.

وابتسمت برقة وهي ترى حيرة كاريسا. وبعد لحظات اضافت قائلة:

- عندما طلب مني كايد ان نبقى معاً بعد ذلك صارحته بماضي كله. لم ارد ان يعرف الحقيقة من شخص اخر. ومن جهة اخرى كان من العدل ان اترك له الفرصة لتغيير رأيه.

- لكن كايد لم يهتم بالأمر!

ورفعت ريتا خصلة شعر رقيقة واخذت تصففها بمهارة لتعطيها الشكل الذي تريد، ومن ثم تابعت حديثها قائلة:

- بل اهتم كثيراً... اهتم بي، لا بما سمعه عني. هل تفهمين قصدي؟

وتوقفت ريتا عن الكلام لتقول ضاحكة:

- ما بي لا اتوقف عن الكلام. لا بد انك سئمت من سماع قصة حياتي!

- لا. بل على العكس تماماً.

لكن الحقيقة ان كاريسا لم تكن تريد فعلاً ان تسمع كل هذه

التفاصيل. صحيح انها سعيدة من اجل ريتا التي عرفت اخيراً معنى السعادة بعد كل تلك الايام المرة التي عرفتها، لكنها كانت تشعر بالتعاسة ايضاً لأن القدر وضع كايد في طريقها

واحست فجأة بثورة عارمة على الرجل الذي تحب لأنه لم يكن وفياً لريتا التي تستحق منه معاملة افضل.

ولم يكن هناك مفر من حضور الحفلة برفقة ريتا. وعندما جلستا في المقعدين المخصصين لهما خفتت الاضواء تدريجياً ما عدا دائرة كبيرة من النور اخذت تلاحق كايد وهو يتقدم ببطء الى وسط المسرح ممسكاً بغيتاره. وارتفع هتاف الجمهور فعادت كاريسا سنوات الى الوراء، الى مناسبة مماثلة في سيدني.

غنى اغنية او اغنيتين من الالحان التي سمعوها في تلك الفترة، لكن معظم ما تبقى كان من اغانيه الجديدة. وقبيل نهاية السهرة بحث عنها كايد بعينيه حتى وجد مكانها.

وعندها اقترب من الميكرفون ليقول بحنان:

- هذه اغنية جديدة . . . لريتا.

كانت الاغنية بسيطة وسهلة الحفظ والترديد. اما موضوعها فكان يدور حول جملتين فقط.

- مضى زمن طويل، طويل. كم انا سعيد لأني وجدتك الآن.

وعندما تلاشت آخر نغمة وقف الجمهور ليحيي الفنان، بحماس منقطع النظير.

اخذت كاريسا تضغط على اصابعها بشدة وهي تحاول جاهدة السيطرة على انفعالها وحزنها، اما ريتا فكانت تمسح دموعها وهي تبتسم.

واقترب كايد مرة اخرى من الميكروفون ليقول:

- وهذه الاغنية جديدة ايضا . . . جديدة جداً

وتوقف قليلاً قبل ان يقول:

- لكنها لفتاة اخرى

وغرق الجمهور في الضحك، لكن كايد لم يكلف نفسه حتى الابتسام.

- عنوان الاغنية وداعاً يا حبيبتي المخادعة

وعرفت كاريسا انه يغني لها. كانت هذه وسيلته ليقول لها ان قصة حبهما انتهت.

احست بالألم يمزقها، وحاولت ان تمسك دموعها وهي تشاهد اصابعه تداعب برقة اوتار غيتاره، وتسمع صوته يغني للحب والوداع بكلمات رقيقة، اذن انت تهجرينني. لكنني ما زلت احبك يا حبيبتي المخادعة.

بعد انتهاء الحفل عادت ريتا وكاريسا الى غرفة كايد الخاصة. اخترقت ريتا الجمهور المحيط بالمطرب الشاب لتضع ذراعيها حول عنقه قائلة:

- شكراً للأغنية انها رائعة.

لم تتحرك كاريسا من الزاوية التي اختارتها ملجأ لها واخذت تراقب المشهد عن بعد.

احست فجأة بشخص ما يقف قربها فالتفتت بسرعة لتجد جاك بتون بجانبها ينظر اليها بحيرة. اقترب اكثر وقال بهدوء:

- هل تخلت عن كايد؟

وحاولت كاريسا ان تبتسم وهي تجيب:

- لا تكن سخيفاً يا جاك. استغل اسمي ليبني حوله اغنية. هل نسيت انه غنى لريتا ايضاً؟

- طبعاً غنى لها. لكن اغنيتها تختلف تماماً عن تلك التي خصك بها.

- غنى لها اغنية حب!

- هكذا ظن الجمهور. لكنك تعرفين تماماً انها لم تكن كذلك. . . لم تكن اغنية حب كالتي خصك بها.

- لا ارى الفرق بين الاغنيتين . . . سوى انه يقول في الاولى اهلاً

وفي الثانية وداعاً.

- ستريّن الاختلاف عندما تعرفين ان ريتا . . . شقيقته. لا يمكن ان يغني لشقيقته كما يغني لحبيبته. لماذا رفضت حب كايد؟ اعرف انه ليس بالرجل المثالي، لكنه تغير كثيراً منذ وجد ريتا. قلت لك هذا سابقاً. سيكون زوجاً رائعاً. ما بك؟ كاريسا؟ هل انت بخير؟

ولم تبس كاريسا بكلمة واحدة منذ سمعت كلمة «شقيقته». احست فجأة وكأن جدران الغرفة تنطبق عليها، وشعرت بدوار مزعج.

- لم اكن اعرف. لم يخبرني احد . . .

وحدق بها جاك وهو لا يفهم قصدها:

- يخبرك ماذا؟

- ان ريتا هي شقيقة كايد.

- لكنك اخبرتني انه كتب لك . . . وروى لك كل شيء عنها.

- لا. قلت انه طلب ان احجز لها غرفة في الفندق. لم يقل لي حتى انه يريد غرفة لامرأة . . . فقط عدد الغرف.

- لكنني اخبرتك شخصياً كل شيء عنها.

- ونسيت ان تقول لي من تكون بالنسبة الى كايد. واعتقد ان هذا الاخير ظن انك اعلمتني بكل شيء في سيارة الاجرة التي كانت تقلنا من المطار. سألني ان كنت قد فعلت هذا فأجبته بالايجاب.

- من كنت تعتقدينها اذن؟

- زوجته . . . عندما عرفت اسمها . . .

- قبل ذلك ظننت انها . . .

- آه جاك. عاملت كايد بمنتهى القسوة. قلت له اشياء فظيعة.

- عليك اذن بتوضيح الأمور.

- كيف ابدأ بـ . . .

- هل تحبينه؟

لم تجب. كانت تحدق في الوجه الوسيم الذي كان منحنياً ليسمع

شيئاً ما تقوله ريتا.

لم تفارق عينا جاك وجهها. تنحنح قليلاً قبل ان يقول:

- منذ قليل اخبر كايد العالم كله انه يحبك. دعي الأمور لي. سأتصرف.

وبأعجوبة وجد لها مكاناً للجلوس. وبعد دقائق خلت الغرفة من الناس، وانسحبت الفرقة الموسيقية، اما ريتا فذهبت برفقة جاك الذي ترك كاريسا وكايد يتقاسمان سيارة الأجرة.

كانت الليلة دافئة وجميلة. ساد الصمت بينهما والسيارة تتنزه بهدوء حول المرفأ استرقت كاريسا نظرة جانبية الى وجه كايد فوجدته جامداً لا يعبر عن شيء. تساءلت كيف تبدأ الحديث!. جاك تمكن من اخلاء الجو لهما، لكنه تركهما يتدبران امورهما بعد ذلك. لكن ماذا يفعل المرء ليخرج من الشرنقة التي نسجها خيطاً خيطاً حول نفسه؟

طلب كايد من السائق ان يوقف السيارة قبل امتار قليلة من الفندق. ترجل وفتح لها الباب فنزلت بدون اي كلمة احتجاج.

توجها الى الشاطىء. الحذاء الذي كانت تنتعله لم يكن مناسباً لهذا النوع من النزهات فتعثرت على رمال الشاطىء الفضية. امسك بها في الوقت المناسب فلم تقع، لكنه سحب يده من ذراعها فور تأكده من توازنها على قدميها.

وقطع كايد الصمت قائلاً:

- اعتقد انك موافقة على وجودك معي هنا. جاك دبر الاجواء المناسبة لذلك، ولم يكن ليفعل ذلك لو لم يكن متأكداً من رضاك.

- اردت ان اكلمك؟

- عن ماذا؟

- انت . . . وانا . . . وريتا.

رددت الكلمات التي قالها هو قبل يوم واحد. توقف عن السير والتفت اليها قائلاً:

- اذكر جيداً ان موضوع ريتا كان السبب في خلافنا في

الأمس. . . وفي اليوم الذي سبقه.

- هذا قبل ان اعرف ان ريتا شقيقتك. كنت اظنها زوجتك.

تسمر مكانه لحظات طويلة قبل ان يقول اخيراً، وببطء:

- زوجتي؟ ما الذي جعلك تعتقدين هذا؟

شرحت له بهدوء كل الملابسات التي ادت الى سوء التفاهم هذا. استمع اليها في البدء وكأنه لا يصدق ما يسمع ثم صرخ بقوة:

- يا له من سوء تفاهم سخيف. لم ارد ان اشرح لك كل شيء في الرسالة. ظننت انك لا بد ستفرحين عندما تعلمين انني وجدت ريتا. كنت اريد ان اخبرك بنفسي كل التفاصيل، وتضايقت جداً عندما سبقني جاك الى ذلك. اعتقد انه ظن انك على علم بكل شيء، خاصة عندما قلت له انك تلقيت رسالة مني.

- يبدو ان هذا ما حدث فعلاً.

نظر اليها مطولاً وبحنان. فعرفت انه يفكر بما حدث بالأمس، وبكل الاشياء التي قالتها له. سألته فجأة بخجل:

- كيف عثرت على ريتا؟

- عبر غوميز. عندما عرفت ان ابنته تدعى ريتا سألته ان كانت زوجته اختارت هذا الاسم تيمناً بالعلاقة القوية التي كانت تربطها بشقيقتي. وفعلاً اكتشفت ان الصديقتين ظلتا على اتصال سنوات عدة، وانهما كانتا تتبادلان الرسائل بانتظام. وكانت هذه الادلة كافية لاستخدم تحرياً خاصاً اسلمه مهمة العثور على شقيقتي. فوجدها بعد فترة قصيرة. كنت قد اعلنت في الصحف والمجلات عن رغبتي في رؤيتها، لكن ريتا لم تحاول الاتصال بي خوفاً من ان ارفضها عندما اعرف حقيقة ماضيها.

وشعرت كاريسا انه يبتلع ريقه بصعوبة فسألته برقة:

- لم يكن صحيحاً اذن ما قلته من انك تساعد غوميز فقط لتنجو بجلدك. كل ما فعلته كان من اجل ريتا اليس كذلك؟

- لم استطع ان انسى ان لي شقيقة في مكان ما. لم اكف يوماً عن

التساؤل عن مصيرها. لا ادري لماذا شعرت وانا اساعد كارلوتا، ان شخصاً ما لا بد وان يفعل الشيء ذاته لشقيقتي في يوم من الأيام.

- لماذا قلت ان كارلوتا ليست بالطهارة التي وصفتها لزوجها؟

- لانني كنت احاول ان اجرحك. . . ان اثيرك لاعرف ان كنت تكرهينني حقاً كما كنت تحاولين افهامي.

- اذن لم يكن ما قلته صحيحاً؟

- كانت كارلوتا بحاجة ماسة الى المال. عرضت نفسها مقابل ذلك. لم تكن المرة الأولى التي تعرض فيها نفسها، لكنني لم ار ضرورة لاخبار غوميز بذلك.

واحست كاريسا بغثيان، وقالت باشمئزاز:

- آه فهمت.

امسك بها فجأة واخذ يهزها بعنف وهو يصرخ قائلاً:

- لا. انت لم تفهمي شيئاً. لم اقبل عرضها. اعطيتها المال بدون مقابل. تصرفي هذا يفاجئك اليس كذلك؟ كنت تظنين انني لا استطيع رؤية امرأة جميلة بدون ان احاول استغلالها وجرها الى الفراش. . . لكنني لم افعل. كارلوتا كانت امرأة جميلة في زمان غابر لكن الحرمان والقلق قضيا على جمالها. لم اجد فيها شيئاً من الجاذبية ولذا. . .

- كايد ارجوك كف عن هذا الحديث.

انزل يديه عن كتفيها وابتعد عنها ليحدق في المياه الداكنة.

نظرت اليه بحنان وانتظرت بضع دقائق قبل ان تقترب منه مجدداً لتضع يدها على ذراعه.

- ليس هذا رأيي بك يا كايد. يا الهي كم تكون قاسياً حين تغضب. قلت لي انك تحاول جاهداً تغيير طباعك وانك. . .

احست به يتصلب. وبعد لحظات التفت اليها ليقربها منه قائلاً:

- نعم. وكنت اقصد كل كلمة قلتها.

ولامس خدها برقة فتساءلت للحظة هل يذكر يا ترى انه صفعها

مرة! وتابع حديثه قائلاً:
- وقلت لك ايضاً اشياء كثيرة. هل علي ان اكررها كلها الآن؟
- اشياء كثيرة ... مثل ماذا؟
- مثل احبك واريد الزواج منك.
ورفع رأسه فجأة ليحدق بها مستغرباً.
- كيف امكنك التفكير ولو لحظة واحدة ان ريتا زوجتي عندما كنت احدثك عن الزواج والحب، وبأني اريدك لي.
- لم تقل هذا. قلت انك بدأت تفكر بالحب عندما التقيت بي. لكن ريتا هي التي جعلتك تفكر بالزواج.
- هل قلت هذا؟ ربما. حسناً... لا تسيئي فهمي هذه المرة يا عزيزتي... اريدك زوجة لي. هل تقبلين؟
- نعم ... آه... نعم يا كايد.
قبلها على شعرها، ووضع في قبلته الحانية كل ما يحس به من حب لها.
واحس بها ترتعش فقال:
- تشعرين بالبرد يا عزيزتي. حسناً فلنعد الى الفندق. لا تقاوميني هذه المرة.
ظلت صامتة وهو يضع سترته على كتفيها، بدون ان تفارق عيناه وجهها.
احنت رأسها كي لا يتمكن من التقاط تعابيرها. ابتسم لها بحنان وهو يرفع وجهها اليه:
- تريدين ان نتزوج اولاً. اليس كذلك؟
ترددت قليلاً قبل ان تجيب:
- نعم. لا تظن اني لا اثق بك لكنني افضل الانتظار. عندما كنت في السابعة عشرة ظننت ان كل المبادىء التي علمني اياها والداي بالية تخطاها الزمن. لكن الحقيقة انني ارتكبت خطأً كبيراً.
- لا. انا الذي اخطأت.

- هل حقاً كنت تريد علاقة عابرة فقط؟
- ليس تماماً. كنت اريدك انت بالتحديد. لو كان امامي وقت اطول لمعرفتك لما اقدمت... على ما قمت به. كنت ابحث عن اسلوب ما اوقف به الزمن. طريقة اجعلك فيها تتذكريني دائماً حتى اتصل بك مجدداً. كنت اريد ان اسألك عن عنوانك لأزورك في نيوزيلندا. لكن عندما عرفت عمرك الحقيقي انقلبت كل الامور.
- كم غضبت علي في تلك اللحظة!
- لا بد اني اخفتك كثيراً.
- لا. كنت لطيفاً لحظة الوداع.
- وبكيت...
- ولم اتوقف بعدها عن البكاء... حتى الآن.
- لا استطيع ان اعدك بانني لن اجعلك تبكين مرة اخرى. تعرفين جيداً انني انسان عصبي، سيء الطباع، ومزاجي. لكن عديني بانك لن تدعيني اتصرف كما يحلو لي بدون سؤال. عليك فقط ان تنظري الي بحزن وبتلك العينين الخضراوين كي اركع طالباً السماح.
ضحكت كاريسا قائلة:
- تعرف جيداً ان ما تقوله ليس صحيحاً.
ضمها بين ذراعيه، واخذ يعبث بخصلات شعرها.
هل ستدعينني انتظر طويلاً؟
- لا.
- نظر اليها مطولاً وقال ضاحكاً:
- ايتها الماكرة الصغيرة. تعرفين جيداً اني سأنتظر... لانك انت تريدين ذلك. ما هي اقصى سرعة يستطيع بها المرء الزواج في هذه البلاد؟
- لا ادري سأنتظر بفارغ الصبر.
- وانا ايضاً.

قالها وهو يدعي الحزن والاستسلام فضحكت قائلة:
ـ اه . . . كايد.
ـ حسناً. ما حدث منذ ثماني سنوات، جرى لشخصين مختلفين. سنبدأ من هنا. . . وسنبدأ بطريقة صحيحة. سيكون كل شيء مثالياً.
ـ نعم. سيكون كل شيء مثالياً. . . اعرف ذلك.